W.12

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

هذه النسخة نسخة الفقير محمد سعيد طالو

Nābulsī

كتاب

كشف البردة

عن معاني البردة

تأليف

الشيخ محمد ازعيتر النابلسي

طبع في بيروت بالمطبعة الادبية سنة ١٣٠٢

2269
.22
.831
1884

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح قلوب اوليائه لمدح اكرم انبيائه وكساهم بردة من محاسن فضله وفيض عطائه والصلاة والسلام على من تشرفت الالسن بطيب ثنائه . وبسط للمحبين من بحار فضله بساط قربه لنوال نعمائه . وعلى آله واصحابه الاعلام . الذين رقوا بحبه وقربه الى اعلى مقام . اما بعد فيقول العبد العاجز الفقير الى اسعاف مولاه القدير . محمد زعيتر ذو المساوى والتقصير . انه لما كانت القصيدة الشريفة المسماة بالبردة والبردة التي نظمها الامام شرف الدين محمد البوصيري قدس الله روحه . ونوّر مرقده وضريحه في مدح سيد الاولين والاخرين . وافضل الانبياء والمرسلين . قد اشتهرت في الاقطار . وتداولت قراءتها اهل القرى والامصار . ووجدت اكثر العوام يقرؤونها بلا ضبط لالفاظها بالحركات . فضلاً عن عدم فهم المعنى من الكلمات . مع ان الضبط والفهم من اعظم شروطها المثمرة للخير في التلاوه . مع ان شراحها الكثيرة بين ايديهم متداوله . ولكن لغموض معنى البعض منها بسبب العبارات المطولة بجملة من الفنون يصعب على قارئها من العوام اخذ ما يحتاجه منها لفهم المعنى وضبط الكلام . والبعض منها

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR
32101 023628314

ما هو مختصر يخفى عليهم فهم اشاراته ويعسر عليهم ادراك مخدرات تلميحاته . ولكوني من بني طينة اولئك العوام . المفتقرين لتسهيل العبارات بما يفيد العاجز المرام . سالت الله تعالى ان يقدرني ويعينني على جمع اسهل العبارات المتفرقة في الشراح . ليحصل بها لي ولهم كمال النفع والانشراح . فاجاب الله دعوتي . وانجح مسئلتي حيث شرح صدري لذلك . وسهل على الصعاليك خوض المعارك على اني لست ممن حام حول هذا المقام . ولا ممن نحا نحو المرام

فالمرجو ممن طالعها بعين انصافه . ان يصلح ما فيها من الخلل ويستره باسعافه . فقلت وبالله المستعان . وعليهِ الاعتماد والتكلان ان الامام شرف الدين محمد البوصيري نسبة الى بوصير وهي قرية من قرى مصر قد اصابهُ نوع من الفالج فابطل نصفه وقطعه عن الحركة فتفكر في نفسهِ ان يتوسل الى الله تعالى بعمل قصيدة يمدح بها الحضرة النبوية ويستشفي بها فنظم هذه القصيدة فبعد ان اتمها رأى النبي صلى الله عليهِ وسلم في منامهِ وتلاها بين يديهِ فمسح بيده الكريمة على اعضائهِ فاستيقظ من النوم صحيحًا بريئًا من كل ألم فخرج من بيته غدوة فلقيه الشيخ ابو الرجا الصديق لهُ فقال لهُ هات قصيدتك التي مدحت بها النبي صلى الله عليهِ وسلم والحال انهُ لم يكن أعلم بها احدًا من الناس فقال لهُ اي قصيدة تريد فقال الذي اولها امن تذكر جيران بذي سلم . فقال من ابن حفظتها يا أبا الرجاء وما قرأتها على احد ممن اليَّ جاء قال لقد سمعتها

البارحة وانت تنشدها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل ويتحرك استحسانا تحرك الاغصان المثمرة بهبوب نسيم الرياح فاعطاه اياها فنشر الخبر بين الناس ثم فليعلم انهُ يلزم لقراءتها على الوجه المرضي شروط لتكون مؤثرة فيما قرئت لهُ اولها التوضئ وثانيها استقبال القبلة وثالثها تصحيح الفاظها بالحركات والسكون ورابعها كون القارئ عالمًا بمعناها لان الدعوات اذا لم يكن القاريء عالمًا بمعناها لايكون فيها تأثير وخامسها قراءتها بالنظم لانها وردت منظومة لامنثورة وسادسها حفظها وسابعها قراءتها مع التصلية بعد كل بيت من ابياتها بالصلاة التي صلى بها الناظم وهي

مَوْلَايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أَبَدًا
عَلَى حَبِيبِكَ خَيْرِ الْخَلْقِ كُلِّهِمِ

والاَّفلا تكون مؤثرة كما روى ان الامام الغزنوى كان يقرأ هذه القصيدة في كل ليلة ليرى النبي صلى الله عليهِ وسلم في منامهِ فلم توفق لهُ الرؤيا فشكا ذلك الى شيخ كامل فقال لهُ لعلك لاتراعي شرائطها فراقبهُ الشيخ عند القراءة فوجده لايصلي بالصلاة المذكورة والسر في اختيار الناظم هذه التصلية دون غيرها هو انهُ لما قرأ هذه القصيدة بين يدي النبي صلى الله عليهِ وسلم ووصل الى قولهِ فمبلغ العلم فيهِ انهُ بشر وقف الامام عنده فقال لهُ عليهِ الصلاة والسلام اقرأ فقال الامام اني لم اوفق للمصراع الثاني لهذ البيت يارسول الله

فقال عليهِ الصلاة والسلام قل يا امام وانهُ خير خلق الله كلهم فأدرج الامام هذا المصراع في قصيدتهِ وفي تصليتهِ وكرره في اخر كل بيت لشدة حرصهِ وكمال محبتهِ للنبي صلى الله عليهِ وسلم وتاثيرات هذه القصيدة من المنافع الدنيوية والاخروية كثيرة شهيرة ذكرت في الشروح المطولة لايسع هذا المختصر ذكرها لكن اذكر منها الركن الاعظم وهو انهُ قال في شرح معتمد من قرأ هذه القصيدة في كل ليلة جمعة بين المغرب والعشاء مع مراعاة شروطها فانهُ يموت على الايمان والاسلام ثم ان الامام جعل قصيدتهُ مرتبة على عشرة فصول الفصل الاول في شدة حبهِ وهوى قلبهِ فقال مخاطبًا ذاتهِ على سبيل انهُ جرد شخصًا من نفسهِ واستفهم منهُ عن بكائهِ الشديد الحاصل عن شدة الحب والشغف وعن سبب مزج الدموع بالدم السائل فقال

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ
أَمْ هَبَّتِ ٱلرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ
وَأَوْمَضَ ٱلْبَرْقُ فِي ٱلظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

التذكر هو الخطور في البال والجيران من الجوار وهو القرب في المنزل والمراد بهم هنا الاحبة مجازا لانهُ يلزم من الجوار المحبة وذي سلم هو موضع بين مكة والمدينة فيهِ شجرة كان ينزل تحتها صلى الله

عليهِ وسلم وهو ما رفيستريح والمزج هو الخلط والدمع هو ماء يقطر من العين والجرى هو السيلان بشدة والمقلة هي شحمة العين سواداً وبياضاً وهبوب الريح هو هيجانهُ وتلقاء بمعنى حذاء وكاظمة هي في المدينة المنورة وقيل هي طريق الى مكة وإيماض البرق هو لمعانهِ والظلماء هي الليلة المظلمة وإضم بكسر الهمزة وفتح الضاد هو جبل قريب من المدينة وقيل وادٍ هناك وحاصل معنى البيتين هو انهُ استفهم عن علة مزج الدمع بالدم وهو كناية عن شدة البكاء فقال . يا ايها الباكي أمِنْ تذكرك المحبوب الذي كان ينزل تحت الشجرة الكائنة بين مكة والمدينة المعروفة بذي سلم خلطت الدمع الجاري من عينيك بالدم أمْ من هبوب الريح الهايج من جهة المدينة المنورة أمْ من لمعان البرق وهو نور المحبوب في الليلة المظلمة من جهة إضَم وهو الجبل الذى كان يسكنهُ صلى الله عليهِ وسلم فى اكثر الاوقات ولما لم يرد جواب من طرف المسؤل لان من شأن المحبين كتمان الحب بالمرة نزلهُ منزلة المنكر فقال

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ أَكْفُفَا هَمَتَا

وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اُسْتَفِقْ يَهِمِ

اكففا احبسا دمعكما وهمتا سالتا دموعاً والقلب هو الفؤاد وهو شكل صنوبرى تحت الضلع الايسر وهو منبع الحياة والايمان وقيل انهُ سر وضعهُ الله تعالى في هذه اللحمة واستفق بمعنى افق مما انت فيهِ

وتهم من هام على وجههِ اذا لم يدر اين هو وحاصل معنى البيت فيا منكر الحب اي شيء حاصل لعينيك حتى انك ان قلت لهما احبسا الدموع سالت دموعهما واي شيء حاصل لقلبك حتى انك ان قلت لهُ افق من غمرة العشق هام فيهِ اليس كل من سيلان الدمع وهيام القلب من اثار الحب ثم اكد اثبات الدعوى بدليل آخر فقال

أَيَحْسَبُ ٱلصَّبُّ أَنَّ ٱلْحُبَّ مُنْكَتِمٌ
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمِ

ايحسب ايظن والصب هو العاشق والحب هو المحبة ومنكتم اي مستور ومنسجم اي هاطل منحدر ومضطرم اي ملتهب مشتعل وحاصل معنى البيت ايظن العاشق انكتام المحبة عن الناس وهو ما بين دمع هاطل وقلب ملتهب ثم قوى اثبات دعواه بدليل آخر فقال

لَوْلَا ٱلْهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ
وَلَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ ٱلْبَانِ وَٱلْعَلَمِ

الهوى بالقصر مصدر هَوِيَ اذا احب وَتَرِقْ اي تصب والدمع هو ما يسيل من العين والطلل هو ما بقي من اثار الديار مرتفعاً وارقت اي سهرت والبان هو شجر طيب الرائحة والعلم هو الجبل والمراد بهما هنا موضعان بالحجاز وحاصل معنى البيت لولا محبتك

وهواك لما بكيت على اثار ديار الاحباب وما ذهب نومك بذكر اشجار البوادي وجبال المنازل ثم لما اقام على المسوءل الادلة الواضحة على حبهِ انكر عليهِ اصراره على دوام الانكار فقال

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ ما شَهِدَتْ
بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ ٱلدَّمْعِ وَٱلسَّقَمِ
وَأَثْبَتَ ٱلْوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنًى
مِثْلَ ٱلْبَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَٱلْعَنَمِ

الانكار ضد الاعتراف والحب ضد البغض وشهدت اي اخبرت والعدول جمع عدل بمعنى عادل والدمع هد السائل من العين والسقم بفتح السين مع التشديد وفتح القاف هو اطالة المرض والوجد هو الحزن وخطي عبرة تثنية خط اي خطين من الدمع والضنى هو الضعف والهزال والبهار هو الورد الاصفر والعنم هو الورد الاحمر وحاصل معنى البيتين كيف تنكر ايها المخاطب المحبة بعد ما شهد بها عليك عدول من الدموع الهاطلة والاسقام المتنوعة وبعد ما اثبت الوجد امرين كائنين على خديك احدهما صفرة الخدود والوجنات الناشئة عن الضنى كصفرة الورد الاصفر وثانيهما حمرة قطرات الدموع الناشئة عن البكاء لامتزاجها بالدم كحمرة الورد الاحمر وقد حكم قاضي الهوى بموجب ذلك ولما شبه كون المخاطب محبًا وكان هو

المخاطب في المعنى رجع عن التجريد واعترف بالحب فقال

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَنِي
وَٱلْحُبُّ يَعْتَرِضُ ٱللَّذَّاتِ بِٱلْأَلَمِ

نعم هي حرف تصديق وايجاب لما سبق بمعنى صدقت وسرى اي سار ليلاً والطيف هو الخيال في النوم والهوى هو المحبة والعشق وارّقني اي اسهرني و يعترض اي يحول بينه و بين مراده واللذات جمع لذة وهي ما يتنعم بهِ والالم هو الوجع وحاصل معنى البيت صدقت ايها السائل فيما نسبتني اليهِ من الحب ولكن لشدة كلفي بمحبوبي لما رايت خياله في النوم انتبهت وَلِهًا مضطربًا فجأني الارق وهذا شأن الحب يحول بين المحب ولذاتهِ بالالم من جهة ما ينشأ عنهُ من عدم الوصل من المحبوب ثم اعتذر بعد الاقرار فقال

يَا لَائِمِي فِي ٱلْهَوَى ٱلْعُذْرِيِّ مَعْذِرَةً
مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ
عَدَتْكَ حَالِيَ لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ
عَنِ ٱلْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمِ

اللائم هو العذول والعُذرى نسبة الى بنى عذرة بضم العين وهي قبيلة قد اشتهرت رُجالهم بوفور العشق ونساؤهم بفرط العفاف والمعذرة

هي ما يدفع به الانسان عن نفسهِ ما عيب عليه فعلهُ والانصاف هي العدل واللوم هو العَذْلُ وعَدتكَ اي بلغتك حالي اي امري والسر هو الشيء المكتوم والوشاةُ جمع واش وهو الكذاب والدّاء هو المرض والمخسم هو المنقطع . وحاصل معنى البيتين يامن يلمني ويعذلني في محبة منسوبة الي قوم من بني عذرة اقدم اليك مني معذرةً ولو كنت منصفاً لم تلمني فقد بلغتك حالي وتحققت لوعتي وغرامي فليس سري مكتوماً عن الواشين ولا مرضي مقطوعاً والمالم يفد معهُ الاستعطاف بقبول العذر ولم يرجع عن اللوم اعترف لهُ بان لومهُ هذا هو نصح حقيقي محض من باب التسليم الجدلي فهو التسليم صورة فقال

مَحَضْتَنِي ٱلنُّصْحَ لٰكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنَّ ٱلْمُحِبَّ عَنِ ٱلْعُذَّالِ فِي صَمَمِ
إِنِّي ٱتَّهَمْتُ نَصِيحَ ٱلشَّيْبِ فِي عَذَلٍ
وَٱلشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ ٱلتُّهَمِ

محضتني اي اخلصتني والنصح ضد الغش والعذال جمع عاذل وهو اللائم والصمم ضد السمع واتهمت من التهمة وهي الحمل على غير المقصود والشيب هو بياض الشعر وحاصل معنى البيتين قد نصحتني ايها الناصح نصيحة خالصة لكني من عظم محبتي لست اسمع

نصح الناصح فان العاشق اصم عن استماع نصح اللائمين كما قيل حبك الشيء يعمي و يصم فاني اتهمت كل ناصح حتى اتهمت الشيب في نصحه اياه والحال ان الشيب ابعد النصحاء عن مواقع التهم فان الذي يلوم غيره قد يتهم بالحسد والطمع والغيرة وغيرها والشيب لا يتصور فيه شيء من ذلك ثم لما فرغ من الفصل الاول وهو فصل الحب والعشق شرع في الفصل الثاني وهو داء النفس ودوائها فقال

فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ
مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قِرًى
ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أُوَقِّرُهُ
كَتَمْتُ سِرًّا بَدَا لِي مِنْهُ بِالْكَتَمِ

امارتي لفظ مبالغة اي نفسي الامارة والسوء هو اسم جامع للقبائح والانعاظ هو قبول النصيحة والنذير هو المبلغ في التخويف والهرم هو كبر السن ولا اعدّت اي ولا ادّخرت والجميل هو الحسن والقرى بكسر القاف مقصورًا هو الاكرام الى الضيف والاحسان اليه وألمّ بفتح الهمزة واللام والميم مع التشديد في الميم اي حل ونزل في رأسي

والاحتشام هو التوقير والتوقير هو التعظيم والاحترام وكتمت اي اخفيت والكتم بفتح الكاف والتاء هو الخضاب بالحناء وحاصل معنى الابيات الثلاثة ان نفسي الامارة بالسوء لم تتعظ من فرط الجهالة بنذير الشيب وكبر السن البعيدين عن التهمة المقيمين على النصيحة الى الممات فكيف بنصيحة من لا تدوم نصيحته فان الشيب نذير الموت وان الهرم دليل الفوت ولا هيأت من ثمرات الاعمال ومحاسن الخصال ضيافة لقدوم ضيف كريم نزل برأسي من نور شيبي فلم اكرمه عند نزوله والمامه ولا وقرته حق توقيره فلو كنت قبل نزوله عالمًا بأني لا اراعي حرمة الشيب لكتمت اوّل ما بدا لي من سر الشيب بخضاب يستر تحته البياض ولا لحقني زيادة الملامة والاعتراض ثم اراد استرجاع ما فات فقال

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا
كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجُمِ

الجماح بكسر الجيم هو القوة والغلبة وركوب الهوى وعسر الرد عنه والغواية بفتح الغين المعجمة هي الضلالة والرد هو الارجاع والصرف عن الشين واللجم بضمتين جمع لجام بكسر اللام وحاصل معنى البيت من يرد نفسي الامارة بالسوء عما هي عليه من الضلالة والغواية بالمواعظ السنية والاسرار الربانية كما يرد الفرس الجموح باللجم الشديدة ثم لما استفهم عمن يرد جماح نفسه ردًا عنيفًا استشعر شخصًا

قال له لاحاجة الى ردها لانك اذا اعطيتها ما تتمناه من المعاصي انكسرت شهوتها فرد ذلك عليه بقوله

فَلَا تَرُمْ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا
إِنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ
فَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى
حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

فلا ترم اي فلا تطلب والمعاصي جمع معصية وهي ضد الطاعة والكسر هنا هو الدفع والصرف والنهم بتشديد النون مع الفتح وكسر الهاء هو الحريص على الاكل والشرب وتهمله اي تتركه وشب الغلام اذ اكبر والفطام هو فصل الطفل عن الرضاع وهو بفتح الراء وكسرها مع التشديد وحاصل معنى البيتين فلا تطلب ايها المخاطب دفع شهوتها بشيء من المعاصي فان تناول الاطعمة اللذيذة يقوي شهوة الحريص على الاكل ولو منع نفسه عن ذلك لامتنعت فان النفس تشبه الطفل الرضيع في انه ان ترك على الرضاع بلغ اوان الشباب وهو مستمر على الرضاع وان فطم امتنع ولم يتضرر من الفطم ثم تمم ذلك فقال

فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ
إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ

وَرَاعِهَا وَهْيَ فِي ٱلْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ
وَإِنْ هِيَ ٱسْتَحْلَتِ ٱلْمَرْعَى فَلَا تُسِمِ
كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ ٱلسُّمَّ بِٱلدَّسَمِ

حاذر من التحذير والتولية هي الإمارة بكسر الهمزة وتولي تؤمر ويصم بضم الياء وسكون الصاد اي يقتل ويصم بفتح الياء وكسر الصاد اي يعيب وراعها اي لاحظها والسوم هو الرعي في الكلاء المباح واستحلت المرعى وجدته حلوًا والسم بتثليث السين هو الشيء القاتل والدسم هو الودك والدهن وحاصل معنى الابيات الثلاثة امسك عنان النفس واصرف هواها عما هي عليهِ من طلب اللذات والانهماك على الشهوات وجاهد في الحذر عن سلطان الهوى وولايتهِ فان الهوى ما دام واليًا على المرء فاما ان يقتله واما ان يعينهُ واحسن رعي النفس في حال كونها سائمة في رياض الاعمال لئلا تتباعد وتتمادى في رعيها فتستحلي المرعى وان استحلتهُ فلا تسمها فيهِ فتتمرد عليك ولا تطيعك بعد ذلك واياك وتلبيس النفس فكم زينت وحسنت المرء لذة قاتلة لهُ بحيث لا يعلم ان فيما يلتذ بهِ من الطعام الدسم سماً قاتلاً لآكلهِ ثم لما بين ان النفس يلزم مراقبتها عند سومها في رياض الاعمال لئلا تقع في الفساد شرع في بيان لزوم مراقبتها عند سومها

في تناول المباحات فقال

وَأَخْشَ ٱلدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ
فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ ٱلتُّخَمِ
وَٱسْتَفْرِغِ ٱلدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ ٱمْتَلَأَتْ
مِنَ ٱلْمَحَارِمِ وَٱلْزَمْ حِمْيَةَ ٱلنَّدَمِ

اخش من الخشية وهي الخوف والدسائس جمع دسية وهي الكيد والمكر الخفي والمخمصة هي المجاعة والتخم جمع تخمة وهي فساد الطعام في المعدة من الامتلاء واستفرغ من التفريغ وهو التخلية والمحارم جمع محرم وهو الحرام والحمية هي المنع مما يضر والندم هو الاسف . وحاصل معنى البيتين واخش المهالك الخفية الحاصل بعضها من الجوع كسوء الخلق والحدة والذبول وضعف القوى وغير ذلك وبعضها من الشبع كالكسل وغلبة الشهوة واظلام القلب وغير ذلك وكل من هذه الامور مشوش للعبادة وقد تحصل العبادة مع الشبع دون الجوع فيكون الجوع شرًا من الشبع والكلام في الجوع والشبع المفرطين فانظر في مصلحتك واكثر البكاء على خطيئتك وافرغ الدموع من عينٍ قد امتلأت من الالتذاذ بالحرام والتزم الورع والاحتراز عما يجب ان يحتمي منه التائب النادم على ما فرط لعل الله تعالى يقبل توبتك ويجعل البكاء كفارة لذنبك

وَخَالِفِ ٱلنَّفْسَ وَٱلشَّيْطَانَ وَٱعْصِهِمَا
وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ ٱلنُّصْحَ فَٱتَّهِمِ
وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ ٱلْخَصْمِ وَٱلْحَكَمِ

النفس هي الامارة بالسوء والشيطان هو المبعد المطرود ومحضاك اخلصاك والخصم هو المنازع والحكم بفتح الحاء والكاف هو الحاكم وحاصل معنى البيتين ان النفس والشيطان عدوان مبينان لك فخالفهما فيما يامرانك به وينهيانك عنه واعصهما في ذلك وان اخلصا لك النصح فاتهمهما فيه ولا تعتقد نصحهما في حالة كون احدهما خصماً او حكماً فان قلت اوضح لي معنى كون احدهما خصماً والآخر حكماً فيقال والله تعالى اعلم ان الدواعي في الانسان ثلاثة وهي القلب والنفس والشيطان فاذا اراد ان يعمل خيراً فتكون النفس مانعة له فتطلب تركه ومنعه فيختصمان فيه فيبرز الشيطان بصورة حكم متلبس بالعدل والانصاف فيحكم بحقيقة مطلوب النفس من ممانعتها للعقل في طلبه الخير فعلى هذا كان الشيطان حكماً والنفس خصما ولو اراد الشيطان ان يعمل عمل شر فيقول له القلب لا تفعل فانه شر ويقول الشيطان لا بل هو خير فيختصمان فيه فتبرز النفس بصورة حكم عادل وهي تأمر بالسوء فعلى هذا كان الشيطان خصماً والنفس

حكماً فكل واحد منهما خصم من جهة وحكم من جهة اخرى ومثلك لايخفى عليهِ مكر هذا الخصم وجور هذا الحاكم الجائر ولما استكمل ما بذل فيهِ النصح لمخاطبهِ بطريق تخليصهُ مما احاط بهِ اثبتهُ لنفسهِ حيث لم يعمل بما قالهُ وطلب الغفران من هذهِ المقالة فقال

أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلَا عَمَلٍ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ
أَمَرْتُكَ ٱلْخَيْرَ لٰكِنْ مَا ٱئْتَمَرْتُ بِهِ
وَمَا ٱسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ ٱسْتَقِمِ
وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ نَافِلَةً
وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

الاستغفار هو طلب المغفرة ونسبت اي عزوت والنسل هو الولد وعقم بضم العين والقاف مصدر عقمت الرحم اي لم تقبل الولد والامر هو الطلب والخير هو ضد الشر وائتمرت اي امتثلت واستقمت اي اعتدلت والزاد هو في الاصل الطعام المتخذ للسفر والمراد بهِ هنا الطاعات النافعة في الآخرة والموت هو مفارقة الروح للجسد والنافلة هي الزيادة على الواجبات وسوى بمعنى غير ولم اصم اي سوى فرض فحذفهُ اكتفاء بدلالة ما قبلهُ عليهِ وحاصل معنى الابيات الثلاثة اني

استغفر الله من قولي هذا فاني عقيم عن تقديم عمل يناسب مقالي فان نتيجة القول هي العمل فاذا لم ينتج قولي عملا فهو كالرحم العقيمة التي لم تنتج ولداً ووالله لقد عزوت بهذا القول الخالي عن العمل ولداً العقيم فقد امرتك بالعمل الصالح وما فعلت انا ما امرتك بهِ وما اعتدلت باقامة نفسي على الاستقامة ما فائدة قولي لك اعتدل انت اذا لم اعتدل انا وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون وما تزودت قبل نزول الموت زاداً من النوافل واقتصرت من الصلاة والصوم على الفرض منهما ثم شرع في الفصل الثالث وهو في بيان مدائح النبي صلى الله عليهِ وسلم وقال

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَى ٱلظَّلَامَ إِلَى
أَنِ ٱشْتَكَتْ قَدَمَاهُ ٱلضُّرَّ مِنْ وَرَمِ
وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى
تَحْتَ ٱلْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ ٱلْأَدَمِ
وَرَاوَدَتْهُ ٱلْجِبَالُ ٱلشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ
عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ
وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ
إِنَّ ٱلضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى ٱلْعِصَمِ

ظلمت اي تركت والسنة هي السيرة والطريقة واحيي الظلام اي قام في الليل على قدميهِ واشتكت اي اظهرت الشكاية والقدم بفتح القاف والدال هو طرف الرجل مما يلي الاصابع والضر هو الالم والورم هو الانتفاخ والسغب هو الجوع والاحشاء جمع حشا بفتح الحاء والشين رهو ما انضمت عليهِ الضلوع والطي هو الثني والكشح هو ما بين الخاصرة الى الضلع والمترف هو المنعم والادم جمع ادمة وهي باطن الجلد والبشرة هي ظاهره وروادته اي دعنهُ الى نفسها والشم بضم الشين مع التشديد جمع الشم وهو العالي فأراها ايما شم اي شم شديد يعني اعرض عنها وارتفع عن التدني لقبولها غاية الارتفاع واكدت اى قوّت والزهد هو ضد الرغبة والضرورة هي الحاجة ولا تعدو اي لا تغلب ولا تستولي والعصم بكسر العين وفتح الصاد جمع عصمة بكسر العين وسكون الصاد وهي المنع والحفظ وحاصل معنى الابيات الاربعة تركت طريقة نبي احي الليالي المظلمة مع علو قدره وارتفاع مكانه لاقامة وظائف العبودية على قدميه الكريمتين حتى ظهر الوجع والورم عليهما وشد وسطه المبارك بالمحرو طوى خصره الناعم الشريف تحت الحجارة تخفيفاً لالم الجوع ومع ذلك كانت الجبال العالية تدعوه الى نفسها بان تكون لهُ ذهباً خالصاً فكان يعرض عنها ويظهر لها اعلى ترفع واستغناء علماً منه بحقارتها ودناءتها عند الله تعالى بالنسبة لما اعد الله لعباده المخلصين في الآخرة ومما يؤكد زهده في زخارف الدنيا حاجته الضرورية والضرورات تبيح الممنوعات

فكيف المباحات المحتاج اليها والضرورة لا تغلب ولا تستولي على الانبياء ذوى العصمة صلوات الله تعالي وسلامه عليهم اجمعين وهذا نهاية الزهد لمقامه العالي صلى الله عليهِ وسلم

وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى ٱلدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ
لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرَجِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْعَدَمِ
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ ٱلْكَوْنَيْنِ وَٱلثَّقَلَيْ
نِ وَٱلْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

المراد بالعدم هنا التقدم على الممكنات قبل وجودها والسيد هو الجليل العظيم والكونان هما الدنيا والآخرة والثقلان هما الانس والجن والفريقان هما العرب والعجم وحاصل معني البيتين انهُ صلي عليه وسلم لاتدعوه الضرورة الى الميل والتناول لحطام الدنيا الفانية فان الدنيا ما اخرجت من العدم الى الوجود الا لاجلهِ وكيف لايكون كذلك وهو سيد العرب والعجم وسيد الانس والجن وسيد اهل الدنيا والآخرة

نَبِيُّنَا ٱلْآمِرُ ٱلنَّاهِي فَلَا أَحَدٌ
أَبَرُّ فِي قَوْلِ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمِ
هُوَ ٱلْحَبِيبُ ٱلَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ

لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ

النبي من النبأ وهو الخبر اي المخبر عن الله تعالى والآمر هو طالب الفعل والناهي هو طالب الترك وابر اي اصدق وترجى من الرجا وهو الامل والشفاعة هي السوال للغير في الخلاص من الامر المهول والاهوال جمع هول وهو المخافة والاقتحام هو الوقوع بغتة في الشدة وحاصل معنى البيتين نبينا الآمر بما رضى الله به الناهي عما نهى الله عنه فلا احد اصدق منهُ في قول لا عند النهي وفي قول نعم عند الامر فهو الحبيب الذي تومل شفاعتهُ يوم القيمة لكل خوف وفزع يقع الانسان فيهِ بغتة لان ما يقع بغتة اشد مما يقع تدريجًا

دَعَا إِلَى اللهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ

مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

اي دعا المرسل اليهم الى دين الله تعالى والاستمساك هو الاعتصام والحبل هو السبب والمنفصم بالفاء هو المنقطع وحاصل معني البيت دعا صلى الله عليهِ وسلم الانس والجن الى دين الاسلام فمن اعتصم بهِ صلى الله عليهِ وسلم وآمن بما جاء بهِ فهو معتصم بسبب متصل غير منقطع

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ

وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمِ

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ مُلْتَمِسٌ
غَرْفًا مِنَ ٱلْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ ٱلدِّيَمِ
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ
مِنْ نُقْطَةِ ٱلْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ ٱلْحِكَمِ

فاق اي علا والخلق بفتح الخاء وسكون اللام هو الخلقة والخُلق بضم الخاء واللام هو السجية والطبيعة ويدانوه اي يقاربوه وملتمس اي آخذ وغرفا مصدر غرفت بيدي من البحر والرشف هو المص والدِّيم بكسر الدال مع التشديد وفتح الياء جمع ديمة بكسر الدال وفتح الميم وهي المطر الذي لا رعد فيه ولا برق ولديه اي عنده والحد هو الغاية والنقطة واحدة من النقط والشكلة واحدة من الشكل وهو حركات الكلمات والحكم بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة بكسر فسكون وهي علم باحوال اعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الامر وحاصل معنى الابيات الثلاثة انه صلى الله عليه وسلم علا جميع النبيين في الخلقة والسجية ولم يقاربوه في العلم ولا في الكرم وكل النبيين آخذ من علم رسول الله صلى عليه وسلم مقدار غرفة من البحر او مصة من المطر الغزير وكلهم واقفون في العلم والحكم عند نهايتهم وحدهم الذي هو كالنقطة من علم الرسول او كالشكلة من حكمه صلى الله عليه وسلم

فَهُوَ ٱلَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ
ثُمَّ ٱصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ ٱلنَّسَمِ
مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ
فَجَوْهَرُ ٱلْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

تمّ من التمام وهو الكمال اي كمل بتثليث الميم في الحركات الثلاثة ومعناه اي حالة باطنه وصورته اي حالة ظاهره واصطفاه اي اختاره والبارئ هو الخالق والنسم جمع نسمة بثلاث فتحات وهي الانسان ومنزه اي مبعد والمحاسن جمع حسن بضم فسكون على غير قياس وجوهر الشيء اصلهُ والانقسام هو الافتراق وحاصل معنى البيتين هو الذي كمل باطنه في الكمالات وظاهره في في الصفات ثم اختاره خالق الانسان حبيبًا ليس لهُ في محاسنه شريك من البشر فجوهر الحسن فيهِ لا يقبل القسمة بينهُ وبين غيره كما ان الجوهر الفرد الذي يتوهم في الجسم ويقول المتكلمون ان الجسم مركب منهُ غير منقسم بوجه من الوجوه لا بالفرض ولا بالوهم ومن كان موصوفًا بكمال الصفات باطنًا وظاهرًا كان محبوبًا

دَعْ مَا ٱدَّعَتْهُ ٱلنَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمِ
وَٱحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَٱحْتَكِمِ

وَٱنْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
وَٱنْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ ٱللهِ لَيْسَ لَهُ
حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

دع اي اترك والنصارى جمع نصراني منسوب الى ناصرة بلدة بالشام وهي قرية المسيح واحكم اي اقض والمدح هو الثناء الحسن واحكم اي اتقن وراع الحق في المدح بعدم تجاوز الحد فيهِ وانسب اي اعز والشرف هو الرفعة والذات هي الحقيقة وقدره اى مبلغهُ والعظم بكسر العين وفتح الظاء هو التعظيم والحد هو الغاية والنهاية ويعرب اي يبين وحاصل معنى الابيات الثلاثة اترك ما قالتهُ النصارى في نبيهم عيسى بن مريم عليهِ السلام انهُ ابن الله واحكم بعد ذلك لهُ صلى الله عليهِ وسلم بما شئت من اوصاف الكمال اللائقة بجلالة قدره وراع الحكمة في مدحك بان تأتي بالمدح اللائق بجنابه الشريف وقدره المنيف وانسب الى ذاته الشريفة ما شئت من شرف والى علو قدره العظيم ما اردت من التعظيم والرفعة فقد وجدت للقول بابًا واسعًا فان فضل رسول الله ليس لهُ غاية ونهاية يوقف عندها فيبينها ناطق بلسان فمه فاوصافه لا تحصى وفضائلهُ لا تستقصى

لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا

أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ

لو ناسبت اي لو ماثلت قدره اي مبلغهُ من الرفعة وآياته اى علاماته الدالة على عظم قدره ويدعي اي ينادي بالدعاء الى الله باسمه والدارس هو الذاهب الهالك الفاني والرمم بكسر الراء مع التشديد وفتح الميم الاولى جمع رِمة بكسر الراء مخففة وفتح الميم مع التشديد هي العظم البالي وحاصل معنى البيت لو كانت علاماته الدالة على رفعته مماثلة لعظيم قدره لكان منها احياء الموتى اذا دعا الله تعالى احد باسمه ان يحيي الموتى بان يقول يا الله بمحمد صلى الله عليهِ وسلم احي هذا الميت فيحييهِ ولم يقع ذلك اذ لو وقع لنقل الينا ولم ينقل فلم يكن احياء الموتى بالتوصل باسمه من آياته فليست اياته مماثلة لقدره في تعداد التعظيم بل قدره اكثر من آياته والمراد بالايات هنا هي الاختيارية التي صدرت عنهُ بالاختيار بخلاف القران والمعراج فانهما حاصلان بالاضطرار ثم لما تقرر انهُ عليهِ الصلاة والسلام في غاية العظمة ونهاية المهابة فربما يتوهم انهُ لا يبالي بأمته الضعيفة كسلطان جائر يحمل رعيته على الاعمال الشاقة والافعال التي لا وسع لهم عليها ولا طاقة دفع ذلك التوهم بقولهِ

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَى الْعُقُولُ بِهِ

حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ

لم يمتحنا اي لم يختبرنا ولم يبتلنا بما تعيا اي بما تعجز عنهُ عقولنا ولا تهتدي اوجهه وحرصًا علينا اي لشدة رغبته في هدايتنا فلم نرتب اى فلم نشك ولم نتردد ولم نهم اي لم نتحير وحاصل معنى البيت لم يبتلنا بخطاب لا تهتدي عقولنا الي المراد منهُ حرصًا علينا ان لا نضل فلا نشك فيما اتانا بهِ ولا نتحير فيهِ ولا يرد على ذلك المتشابه الذي في القرآن العظيم لانهُ لم يمتحنا ولم يكلفنا بفهم المراد منهُ ثم لما اخبر المصنف فيما تقدم بعجز اللسان عن ذكر فضائله صلى الله عليهِ وسلم بقولهِ فان فضل رسول الله ليس لهُ حد فيعرب عنهُ ناطق بفم قد اخبر هنا بعجز العقول عن ادراك كمالاته فقال

أَعْيَا ٱلْوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى

لِلْقُرْبِ وَٱلْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

كَٱلشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ

صَغِيرَةً وَتُكِلُّ ٱلطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ

اعيا اي اعجز والورى هو الخلق والفهم هو المعرفة ومعناه صلى الله عليهِ وسلم هو حقيقته ويرى بضم الياء وفتح الراء اي يبصر والمنفحم هو من سكت عن عجز ولزوم حجة عن المجادلة ولم يجب وتكل بضم التاء وكسر الكاف اي توقف البصر عند رؤيتها والأمم بفتح الهمزة

والميم الاولى هو القرب وحاصل معنى البيتين اعجز الخلق فهم حقيقته صلى الله عليهِ وسلم فلم يصل احد منهم اليها لعلو شأنها ولا يبصرها احد في حالتي القرب والبعد الا انفحم وبالعجز اتسم فيها حاولوا واجتهدوا ولا يجنون ثمرة من ذلك سوى ما ذكر من الانفحام والعجز وسواء في ذلك الانفحام القريب منهُ والبعيد عنهُ صلى الله عليهِ وسلم فلا يتوهم انهُ في حالة القرب ربما تحصل المقدرة على ادراك جزء من جلالة عظمته المقدسة لان مولاه العظيم قد اختصهُ من بين خلقهِ بنهاية الكمال وغاية الاكرام والاجلال فحد ما يدركه المجتهد في حالة بعده من حقيقته الشريفة انهُ بشر متصف بنهاية الكمال وغاية الاجلال على وجه الاجمال وفي حالة قربه يزداد ذلك الانفحام لما يشاهد من اثار تلك العظمة ما يدهش العقول فهو صلى الله عليهِ وسلم في ذلك المعنى كالشمس مهما حاولت العينان ادراك حقيقتها على ماهي عليهِ لا تفيدها المحاولة سوى الانفحام والعجز ولا تظهر لها الا صغيرة بقدر المرآة لعجزها عن ادراك مقدارها في حالة بعدها عنها وفي حالة قربها منها لو فرض يزداد ذلك الانفحام بما يكل البصر ويعجزه من عظمها وكبر جرمها

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ
قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ

كيف للاستفهام الانكاري والادراك هو حصول صورة الشيء في العقل

والدنياهي ضد الاخرة والحقيقة هي الماهية وتسلوا اي قنعوا والحلم هو ما يراه الانسان في المنام وحاصل معنى البيت كيف يدرك حقيقته صلى الله عليهِ وسلم قوم قنعوا برؤيته في المنام ان حصلت لهم في الدنيا

فَبَلْغُ ٱلْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ
وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ ٱللهِ كُلِّهِمِ

مبلغ العلم هو غايته والبشر هو الانس بكسر الهمزة يطلق على الواحد وعلى الجمع والخلق بفتح الخاء وسكون اللام بمعنى المخلوق وحاصل معنى البيت وغاية ما يصل اليهِ علم المخلوق فيهِ صلى الله عليهِ وسلم انهُ بشر وانهُ خير خلق الله تعالى اجمعين

وَكُلُّ آيٍ أَتَى ٱلرُّسْلُ ٱلْكِرَامُ بِهَا
فَإِنَّمَا ٱتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ
فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا
يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي ٱلظُّلَمِ

آي جمع آية بمعنى علامة وأتى اي جاء والرسل بسكون السين وتضم في غير النظم جمع رسول وهو انسان اوحي اليهِ بشرع للعمل بهِ وتبليغهِ للناس والكرام جمع كريم والاتصال هو ضد الانفصال

والنور هو ضد الظلام وحاصل معنى البيتين ان جميع الايات التي جاءت بها المرسلون انما اتصلت بهم من نور النبي صلى الله عليه وسلم لان خلق نوره سابق عليهم وهو صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى الفضل والشرف كالشمس والمرسلون كالكواكب ونور الكواكب مستفاد من نور الشمس فان الكواكب تظهر انوار الشمس للناس في الظلام فاذا ظهرت الشمس لا يبقى للكواكب نور يرى بل تستتر عن العيون ثم قال

أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ
بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ
كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالْبَدْرِ فِي شَرَفٍ
وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ
كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ
فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ

اكرم فعل تعجب بمعنى ما اكرم خلق نبي والخلق بفتح الخاء وسكون اللام بمعنى الذات والصورة وزانهُ اي زاده حسنًا والخلق بضمتين هو السجية والسيرة والصفة والشمائل والحسن بضم الحاء وسكون السين هو البهاء ومشتمل متردٍّ من الارتداء والبشر بكسر الموحدة هو طلاقة الوجه وبشاشته ومتسم اي متصف والزهر هو النورُ بفتح

النون وسكون الواو وهو واحد الازهار والترف هو اللطافة والنضارة وقيل هو النعومة في الجلد والبدر هو القمر عند تمامه والشرف هو الرفعة وعلو المنزلة والبحر هو الواسع العطاء والكرم والجود والدهر هو الزمان والهم جمع همة وهي كمال التوجة بالقصد والعسكر هو الجيش الكثير ويعبر عنهُ بالجند والحشم هو الخدم وحاصل معنى الابيات الثلاثة ما اكرم خلق محمد وصورته المزينَ بالخلق المشتملَ بالحسن المتصف بالبشر فهو كالزهر في اللطافة والنعومة وكالبدر في الشرف وكالبحر في الكرم وكالدهر في الهمم وكانهُ لجلالته في عسكر وفي خدم حين تلقاه فردًا وحيدًا

كَأَنَّمَا ٱللُّؤْلُؤُ ٱلْمَكْنُونُ فِي صَدَفٍ

مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ

لَا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْبًا ضَمَّ أَعْظُمَهُ

طُوبَى لِمُسْتَنْشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ

ٱللؤلؤ جمع لؤلؤة وهي الدر والمكنون اي المصون والصدف هو معدنهُ بكسر الدال ومعدن كل شيء فيهِ اصله والمنطق هو الكلام والابتسام هو اول الضحك والطيب اسم لما يتطيب بهِ ويعدل اي يساوي والترب بضم التاء وسكون الراء هو التراب وضمَّ اي حوى واشتمل والاعظم جمع عظم والمراد بهِ جميع بدنه صلى الله عليهِ وسلم

من تسمية الكل باسم الجزء لان الله تعالى حرم على الارض ان تأكل لحوم الانبياء وطوبى اي بشرى والانتشاق هو الشم والالتثام هو التقبيل وحاصل معني البيتين كانما اللؤلؤ المكنون المصون في صدفه كائن من معدن كلامه ومعدن ابتسامه ولا شيء من انواع الطيب يماثل طيب التراب الذي ضم جسده صلى الله عليه وسلم وهذا التراب اشرف تراب الارض طوبى لمن شمه وقبله ثم شرع في الفصل الرابع في بيان مولده صلي الله عليه وسلم فقال

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ
يَا طِيبَ مُبْتَدَإٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ

ابان اي كشف والمولد من الولادة والعنصر هو الاصل والحسب اي المفاخر في النفس وفي الاباء والمراد بطيب العنصر طهارته وخلوصه عن الرذائل ومبتدأ الشيء اوله ومختتمه انتهاؤه وحاصل معنى البيت اظهر الله تعالى عند ولادته طهارة حقيقته الخاصة به الدالة على علو شأنه وشأن نسبه بخوارق العادات الدالة على كمال العنايات فيا أولى البصائر انظروا غرائب مبادئه واعتبروا وتدبروا عجائب نهاياته وتفكروا فيه

يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمُ
قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنِّقَمِ

اليوم هو قطعة من الزمان وتفرس اي تفطن بطريق الفراسة بكسر الفاء وهي قوة يدرك بها الانسان بالمخايل الظاهرة المعاني الباطنة والفرس بضم الفاء هي امة عظيمة كان مسكنهم في شمالي العراق والانذار هو الاعلام بالشيء المخوف والبؤس هو الشدة والنقم بكسر النون مع التشديد جمع نقمة وهي العقوبة وحاصل معنى البيت يوم ولادته صلى الله عليه وسلم هو يوم تفطن فيه الفرس انهم قد نزل بهم الشدة والعقوبة

وَبَاتَ إِيْوَانُ كِسْرَى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ
كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ

بات اي امسى والايوان لفظ معرب وهو اسم لسقف لا يكون لبعض جوانبه جدار وكسرى بكسر الكاف وفتحها هو لقب لكل ملك من ملوك الفرس والصدع هو الشق وشمل القوم هو مجمع عددهم وملتئم اي مجتمع وحاصل معنى البيت انه شبه وقوع الانصداع في منزل كسرى بوقوع التفرقة بين اصحابه وما انهدم جميعه على التمام ليكون عبرة للانام وانما سقط منه اربع عشرة شرافة وقوصرته التي يقال لها القنطرة باقية الآثار الى الان على مال من شاهدها

وَالنَّارُ خَامِدَةُ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ
عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ

خمدت النار سكن لهيبها ولم يطفأ جمرها فان طفي يقال همدت والانفاس جمع نفس بفتح الفاء وهو ما يخرج من داخل الرئة الى خارجها والاسف هو الحزن والنهر هنا هو الفرات فانهُ كان ضل الطريق ووقع في وادي سماوة وهي بادية بين دمشق والعراق وذلك ان دجلة انقطعت وانتشرت في بلاد فارس وطفح الفرات حتى ملأ سماوة وساهي اي ساكن عن الجريان والسدم هو الحزن وحاصل معنى البيت ان النار التي كانت تعبدها فارس قد خمدت بعد التوقد ولم تكن خمدت قبل ذلك بالف عام اسفًا على ضعف الكفر وسكن النهر الجاري حزنًا عليه

وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا

وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِي

سأ اي حزن وساوة هي مدينة في طريق همذان وغاضت بالضاد المعجمة اي ذهب ماؤها وبالصاد المهملة اي غاب ماؤها وغار وبحيرة ساوة هي ماء مجتمع واسع الطول والعرض بقرب ساوة كبحيرة طبرية وُرِدَّ اي رجع والوارد هو الذي يأتي الماء للسقي والغيظ بالظاء المعجمة المشالة هو الغضب وظمي اي عطش وحاصل معنى البيت واحزن اهل ساوة ذهاب ماء البحيرة ورجوع الوارد للسقي منها بالغضب حين جاء البحيرة ولم يجد بها ماء وقد عطش وقد كان حولها بيعٌ وكنائس معتبرة وغيضها كان سببًا لخرابها ولم تعمر

بعد ذلك

كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ
حُزْنًا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ

الحزن ضد السرور والضرم هو الالتهاب وحاصل معنى البيت ان النار التي خمدت تلك الليلة صارت كأن بها ما بالماء من البلل فصارت مبتلة لحزنها وان الماء الذي غاض تلك الليلة صار كأن فيهِ ما بالنار من الضرم لحزنهِ ايضًا فكان كل ما في نار فارس وماء بحيرة ساوة انتقل للاخر من الحزن

وَالْجِنُّ تَهْتِفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ
وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنًى وَمِنْ كَلِمِ

الجن خلاف الانس سموا بذلك لاجتنانهم اي استتارهم عن العيون وتهتف اي تصوت والانوار جمع نور بضم النون والمراد بها التي ظهرت يوم ولادتهِ حتى أضأ لها قصور الشام ساطعة اي مرتفعة والحق اي صدق النبوة ويظهر اي ينكشف من معنى كالانوار ومن كلم كهتف الجن وحاصل معنى البيت ان من علاماته صلى الله عليهِ وسلم ماسمع من اصوات الجن اخبارًا بولادته عليهِ السلام كما روى ان في الهواء وارجاء مكة سمعت اصوات الجن يبشرون بولادته عليهِ السلام وفي المواهب مر في ذلك الوقت جن المشرق الى المغرب

وجن المغرب الى المشرق يبشرون بولادتهِ عليهِ السلام وسطوع الانوار اي ارتفاعها ولمعانها وهي التي خرجت معهُ عند ولادتهِ كما روى عن آمنة رضي الله عنها انها قالت لما ولدتهُ خرج من رحمي نور اضاءَ لهُ قصور الشام والحال ان الحق وهو امره صلى الله عليهِ وسلم من نبوته ورسالتهِ يظهر من معنى كالانوار الخارجة معهُ المتقدم ذكرها ومن كلم كهتف الجن اي تصويتها اخباراً بولادتهِ صلى الله عليهِ وسلم كما تقدم ثم كان سائلاً قال لما اخبرت الجن بنبوتهِ ودلت الانوار على حقيقته هل آمنت بهِ قومهُ اولاً اجاب عن ذلك فقال

عَمُوا وَصَمُّوا فَإِعْلَانُ ٱلْبَشَائِرِ لَمْ
تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ ٱلْإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ
مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ ٱلْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ
بِأَنَّ دِينَهُمُ ٱلْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

العمى عدم البصر والصمم عدم السمع والاعلان هو الاظهار والبشائر جمع بشارة او بشرى وهو الخبر السار وبارقة من برق اذا لمع والتا للمبالغة والانذار هو الاعلام وتشم بالبنا للمفعول اي لم تبصر والاقوام جمع قوم وهو يطلق على الذكور والاناث وقيل على الذكور فقط والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات الماضية ودينهم اي طريقتهم

التي تدينوا بها واعوج الشيء فهو معوج اي صار ذا عوج فهو بكسر العين في الامور المعنوية وبفتحها في الامور الحسية يقال في الدين عِوج بكسرها وفي العود عوج بفتحها ولم يقم اي لم يدم من قام الامر اذا دام وحاصل معنى البيتين عموا فلم يبصروا بارقة الانذار ولمعته وصموا فلم يسمعوا اعلان البشائر من الجن من بعد اخبار الكهان لهم بان دينهم المائل عن الحق لا يستقيم ولا يدوم لظهور هذا النبي الكريم

وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الْأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ
مُنْقَضَّةٍ وِفْقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنَمِ
حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ
مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ

عاينوا اي شاهدوا والافق هو نواحي السماء وفيه لغتان سكون الفاء وضمها والشهب جمع شهاب وهو شعلة نار او بمعنى النجوم التي ترمي الشياطين عند استراق السمع من الملائكة منقضة من انقض السهم اي سقط والوفق بكسر الواو هو الموافقة بمعنى مثل والضم هو المصور من حجر وغيره والغد وهو الذهاب والوحي هو الكلام الخفي وطريقه ابواب السماء والمنهزم هو الهارب فرارًا والشياطين جمع شيطان بمعنى المبعد ويقفو اي يتبع واثر بمعنى عقب وحاصل معنى البيتين ومن بعد الذي عاينوه من شعل النار النازلة من السماء على الشياطين

المسترقين للسمع على وفق تنكيس الاصنام التي في الارض الى ان ذهب كل شيطان هارب عن ابواب السماء يتبع بعضهم اثر بعض

كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ
أَوْ عَسْكَرٌ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي
نَبْذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا
نَبْذَ الْمُسَبِّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

الهرب هو الفرار السريع والابطال جمع بطل وهو الشجاع وابرهة بالحبشة بمعنى ابيض الوجه والمراد بهِ هنا اسم رئيس اصحاب الفيل ويقال لهُ الاشرم والعسكر هو الجيش العظيم والحصى جمع حصاة وهي الصغار من الاحجار والراحة هي الكف والنبذ هو الطرح والتسبيح هو التنزيه عن كل نقص والبطن ضد الظهر والمراد بالمسبح هنا يونس عليهِ السلام والاحشا جمع حشا وهما انضمت عليهِ الضلوع والمراد بالملتقم هو الحوت الذي التقم يونس عليهِ السلام وحاصل معنى البيتين كأن الشياطين في هربهم ابطال ابرهة في هربهم لما رموا بالحجارة من سجيل ولوا هاربين وكان الشياطين عسكر رمي بالحصا من بطن كفيهِ صلى الله عليهِ وسلم بعد تسبيحها في راحتيهِ نبذا اي رميا بالحصى المسبح في بطن راحتيهِ مثل رمي الحوت ليونس المسبح في بطنهِ بعد التقامهِ لهُ والمصراع الاول اشارة الى قصة اصحاب الفيل وهي ان ابرهة رأى

الناس يتجهزون ايام الموسم للحج فقال اين يذهبون فقيل له يحجون بيت الله بمكة قال وما هو قيل من الحجارة فقال والمسيح لابنين لكم بيتاً خيراً منه فبنى لهم كنيسة من الرخام الاسود والاحمر والاصفر وحلاها بالذهب والفضة وانواع الجواهر واراد صرف الحج اليها ومنع الناس من الذهاب الى مكة فلما اشتهر الخبر عند العرب خرج رجل من كنانة مغضباً وتغوط في الكنيسة ولطخ قبلتها ورجع الى ارضه فاغضب ذلك ابرهة وحلف لينقضن الكعبة حجراً حجراً وكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله ان يبعث اليه فيله فلما قدم اليه الفيل خرج في ستين الفاً فلما بلغ قريباً من مكة امر ابرهة رجلاً بالغارة الى مكة فمضى اليها واستاق ابل قريش وغنمهم فلما تهيأ ابرهة لدخول مكة برك الفيل فضربوه في رأسه ليقوم فابى فوجهوه الى غير مكة فقام يهرول ثم وجهوه الى مكة فبرك ثم ارسل الله عليهم الطيور الابابيل مع كل طائر ثلاثة احجار حجر في منقاره والآخران في رجليه فذهبوا هاربين يتساقطون بكل طريق وكان الحجر يصيب رأس الرجل فيخرج من دبره ومن اسفل مركوبه والى هذه القصة اشار سبحانه وتعالى بقوله الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى اخر السورة والمصراع الثاني اشارة الى غزوة بدر وغزوة حنين ولما رمي الحصى صلى الله عليه وسلم في وجوه الاعداء لم يبق منهم احد الا دخل التراب في عينيه وانهزموا جميعاً فتبعهم المسلمون يأسرونهم ويقتلونهم ثم شرع في الفصل الخامس في بيان المعجزات فقال

جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ ٱلْأَشْجَارُ سَاجِدَةً
تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمِ
كَأَنَّمَا سَطَّرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ
فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ ٱلْخَطِّ فِي ٱللَّقَمِ
مِثْلُ ٱلْغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةٌ
تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي

جاءت اي انت لدعوتهِ اي لندائهِ الاشجار جمع شجرة وهي ما لهُ ساق وساجدة اي خاضعة والقدم هو طرف الرجل وسطرت اي خطت وفروع الشجرة اعلاها والبديع الغريب العجيب واللقم بفتح اللام والقاف هو وسط الطريق والغمامة هي السحابة ونقيهِ اي تحفظهُ والوطيس هو التنور والهجير هو نصف النهار اذا كان حارًا وحمي الوطيس اذا اشتد الحر وحاصل معنى الابيات الثلاثة ان النبي صلى الله عليهِ وسلم نادى شجرة فاقبلت خاضعة ماشية على ساقها وهي تشق الارض شقًا ولم يكن في مشيها عوج ولا ميل بل تمشي مشي استقامة كالانسان الذي يأتي وهو متأدب من غير خلل في مشيهِ كسطر سطرهُ الكاتب ليكتب عليهِ فكانها سطرت في مجيئها سطرًا مستقيمًا تمشي عليهِ وسط الطريق ومثل مجيءٍ

الاشجار له بأمره واشارته مثل الغمامة في تظليلها اياه من حر الشمس في وسط النهار في انهما معجزتان خارقتان للعادة في الاسافل والاعالي

أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ

القسم هو اليمين والنسبة هي الشبة ومبرورة من بر في يمينه اي أمضاها على الصدق وحاصل معنى البيت اقسمت برب القمر يمينا مبرورة ان للقمر المنشق شبها بقلبه صلى الله عليه وسلم في انشقاق كل منهما والتئامهما من غير تأثير ولا اختلال

وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

حوى بمعنى جمع واحاط والغار هو المكان الذي اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه وهو كهف في جبل ثور في قرب مكة المكرمة والخير هو كناية عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم والكرم كناية عن صديقه ابي بكر رضي الله عنه لانه آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله وحاصل معنى البيت واذكر من معجزاته صلى الله عليه وسلم انه دخل الغار هو وابو بكر هربا من الكفار فطلبوهما حتى وقفوا على فم الغار فاعماهم الله تعالى عنهما ببركته صلى الله عليه وسلم

فَالصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا
وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمِ

فالصدق اي ذو الصدق وهو النبي صلى الله عليه وسلم والصديق هو ابو بكر رضي الله عنهُ لم يرما اي لم يبرحا وأَرِم بفتح الهمزة وكسر الراء بمعنى احد وحاصل معنى البيت فالنبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنهُ لم يبرحا في الغار والحال ان الكفار لم يروهما بحفظ الملك الجبار ويقولون ليس احد في الغار لما رأَوا نسج العنكبوت على فم الغار وحوم الحمام عليهِ كما اشار اليهِ بقولهِ

ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ

ظنوا ان حسبوا والحمام اسم جنس جمعي واحدهُ حمامة تقال للذكر والانثى والعنكبوت واحد العناكب وهو دويبة تنسج في الهواء وتبيض وتحيض والبرية بفتح الباء وكسر الراء وفتح الياء مع التشديد هي جميع المخلوقات والنسج هو الحياكة والحوم هو الطواف وقيل حوم الحمام بيضهُ وحاصل معنى البيت ان الكفار لما راوا الحمام حامت على الغار والعنكبوت نسجت عليهِ ظنوا ان خير المخلوقات وصاحبهُ ليسا في الغار لظنهم استبعاد حوم الحمام حول الغار ونسج العنكبوت عليهِ في وقت لا يسع ذلك

وِقَايَةُ ٱللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ
مِنَ ٱلدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ ٱلْأُطُمِ

وقاية الله اي حفظهُ واغنت اي اجزأت والدروع المضاعفة هي المنسوجة حلقتين حلقتين تلبس للحفظ من العدو والاطم هي الحصون مفرده اطمة وحاصل معني البيت وقاية الله وحفظهُ للنبي صلى الله عليهِ وسلم ولصاحبه رضي الله عنهُ من العدو بهذا الغار اجزاء عن الدروع المضاعفة وعن الحصون العالية كل ذلك ببركتهِ صلي الله عليهِ وسلم

مَا سَامَنِي ٱلدَّهْرُ ضَيْمًا وَٱسْتَجَرْتُ بِهِ
إِلَّا وَنِلْتُ جِوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضَمِ
وَلَا ٱلْتَمَسْتُ غِنَى ٱلدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ
إِلَّا ٱسْتَلَمْتُ ٱلنَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

سامني اي قصدني وارادني أو اذاقني وابتلاني والدهر هو الزمان والضيم هو الظلم واستجرت طلبت الخلاص والنجاة او التجأت واستغثت ونلت بكسر النون اي حصّلت بتشديد الصاد والجوار بضم الجيم وكسرها وهو الافصح هو الحفظ والرعاية ولم يضم بضم الياء وفتح الضاد المعجمة اي لم يحقر بل يحرم والالتماس هنا هو الطلب بخضوع وذلة والغنى هو اليسار ضد الفقر والدارين هما الدنيا

والآخرة ومن يده اي من نعمتهِ واحسانهِ واستلمت الندى بفتح النون مع التشديد وفتح الدال مع القصر اى اخذت العطا والكرم ومن خير مستلم بفتح اللام اي من خير مستلمٍ منهُ وحاصل معنى البيتين ما نالني ضيم واستجرت بالنبي صلى الله عليهِ وسلم الا كنت نائلاً حمي وحفظًا ورعايةً منهُ ولا طلبت من فضلهِ غنى في الدنيا بالكفاف وفي الاخرة بالسلامة من العذاب الا كنت آخذًا العطاء والكرم من خير مطلوب منهُ فانهُ لا يرد سائلهُ وبيده خير الدنيا والاخرة ثم لما بين اوصافهُ الكاملة شرع في ذكر من اتصف بهذه الصفات فقال

لَا تُنْكِرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ أَنَّ لَهُ
قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ
فَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ
فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ

لا تنكر لا تجحد والوحي هو ما يلقى اليهِ من الاحكام ورؤياه هو ما يراه في نومهِ ونوم العين هي فترة طبيعية تعتري الحيوان تتعطل بها حواسهُ ونوم القلب هو تعطيل القوى المدركة وذلك اشارة الى ان بدأ الوحي كان بالرؤيا الصالحة في النوم فانهُ كان صلى الله عليهِ وسلم لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح والبلوغ هو الوصول

والمحتلم بكسر اللام هو البالغ العاقل او هو الرائي الحلم في النوم وحاصل معنى البيتين انهُ لما كان الوحي لم يأتِ للانبياء الا يقظة لما يلزم لذلك من كمال الاستعداد والاستيقاظ وحالة اليقظة اليق لذلك من حالة النوم وكان حصولهُ للنبي عليهِ السلام في ابتداء نبوتهِ مناماً على خلاف تلك العادة نبه الناظم على عدم انكار ذلك بقولهِ لا تنكر وقوع الوحي اليهِ صلى الله عليهِ وسلم في منامهِ فانهُ اذا نامت عيناه لا ينام قلبهُ لان قلبهُ دائم التيقظ في حال يقظتهِ ونومهِ فلا تستبعد في حقهِ عليهِ الصلاة والسلام حصول الوحي لهُ حالة النوم واليهِ الاشارة بقولهِ صلى الله عليهِ وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي لا سيما وقد حصل لهُ الوحي في المنام في زمن تمام العقل وكمال الرشد وهو بلوغ الاربعين سنة من العمر لذلك اكد الناظم بالتنبيه على عدم انكار الوحي في المنام بقولهِ فليس ينكر فيهِ حال محتلم والحكمة في ذلك هو الاستئناس بملاقاة الملك في النوم ليطيق ذلك في اليقظة بعد اذ لو جاءه في اليقظة ابتداء لأمكن ان لا يطيق ملاقاتهِ فلما استأنس بذلك في النوم اتاه في اليقظة فان قيل لِمَ احتاج صلى الله عليهِ وسلم للاستئناس في النوم قبل اليقظة وهو اعلى درجة من النبيين ولم تحتج الانبياء الذين هم دونهُ في الدرجة الى ذلك الاستئناس بل اتاهم الوحي يقظة ابتداء اجيب بان الانبياء كانوا يعرفون نزول الوحي من تعليم كتب الاسلاف ونبينا عليهِ الصلاة والسلام لم يقرأ حرفاً من كتب سائر الانبياء

عليهم الصلاة والسلام ثم لما ذكر الوحي ومن انزل عليهِ الوحي اراد ان يصف كل واحد منهما بوصف فوصف الوحي بانهُ غير مكتسب بل هو بفضل الله تعالى ووصف النبي صلى الله عليهِ وسلم بكونهِ غير متهم بل حافظًا لهُ وامينًا عليهِ بقولهِ

تَبَارَكَ ٱللهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ
وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ

تبارك اي تعالى وتعاظم والاكتساب هو طلب الشيء بمباشرة اسبابه التي جرت العادة الغالبة بحصوله عقبها وحاصل معنى البيت ليس الوحي مكتسبًا لاحد بسعيهِ بان يحصلهُ باسباب بل هو بتخصيص الله به ما ينشأ من عباده وليس نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمتهم فيما يخبر بهِ عن غيب اي عن الوحي الذي نزل عليهِ فان جميع الانبياء معصومون من الكذب كسائر المعاصي ثم لما وصفهُ صلى الله عليهِ وسلم ببعض الفضائل اللازمة اراد ان يصفه ببعض آياته وفواضله المتعدية الى الغير فقال

كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِبًا بِٱللَّمْسِ رَاحَتُهُ
وَأَطْلَقَتْ أَرِبًا مِنْ رِبْقَةِ ٱللَّمَمِ

كم اي كثيرًا أبرات اي شفت وَصِبًا بكسر الصاد اي مريضًا وبفتحها المرض واللمس هو المس باليد والراحة هي بطن الكف واطلقت

اي خلصت وحلت بتشديد اللام ارِبًا بفتح الهمزة وكسر الراء اي محتاجًا بخلاف الأرب بفتح الهمزة والراء فهو الحاجة والرِّبقة بكسر الراء هي العروة من حبل لهُ عرى يشد بهِ البهائم واللمم هي صغار الذنوب والمراد بهِ هنا الجنون وحاصل معنى البيت انهُ كثيرًا من المرات ابرأت راحته الشريفة مريضًا يسبب لمسها لهُ وخلصت محتاجًا موثوقًا ومشدودًا بعروة الجنون فمن الاول ما روى انهُ صلى الله عليهِ وسلم مسح على عين قتادة بعد ما عميت فردها الله تعالى عليهِ وكانت احسن عينيهِ ومن الثاني ما روى من ان امرأة اتت النبي صلى الله عليهِ وسلم بابن لهابهِ جنون فمسح بيده الشريفة المباركة صدره فتع ثعة بالثاء المثلثة والعين اي قأ قيئة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود وبرئ لوقته

وَأَحْيَتِ ٱلسَّنَةَ ٱلشَّهْبَآءَ دَعْوَتُهُ
حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي ٱلْأَعْصُرِ ٱلدُّهُمِ
بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خَلَّتْ ٱلْبِطَاحَ بِهَا
سَيْبٌ مِنَ ٱلْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ ٱلْعَرِمِ

احيت من الاحياء ضد الموت والسنة هي العام والحول والشهباء هي السنة التي لا خضرة فيها ولا مطر تشبيهًا لها بالفرس الشهبا التي غلب بياضها فان الارض في حال جدبها لقلة الزرع فيها بسبب

قلة المطر وغلبة بياضها على سواد الزرع ترى كالفرس الشهبا فهي لذلك شبيهة بالميتة وحكت اي شابهت والغرة هي البياض في الجبهة والاعصر هي الازمنة والدُّهم جمع ادهم وهو الاسود اي كالاسود لشدة خضرتها وخصابة زرعها والعارض هو السحاب وجاد من الجُوْد بفتح الجيم لا من الجود بضمها اي كثر مطره وخلت بفتح التاء اي ظننت والبطاح جمع ابطح وهو الوادي المتسع المشتمل على الحصباء والسيب هو الجري واليم هو البحر والعرم هو السد الذي يمسك الماء وحاصل معنى البيتين وكم احييت دعوتهُ السنة المجدبة حتى صارت تلك السنة زينة للسنين السود اي المخصبة لرؤية الارض فيها سوداء لخصب الزرع فيها كما ان الغرة البيضاء زينة في جبهة الفرس الاسود بسبب سحاب عارض جاد بالمطر الكثير الى ان ظننت ايها المخاطب الوادي المتسع بهِ ماءٌ جارٍ من البحر او بهِ ماءٌ سائل من سدٍّ اجتمع فيهِ ماءٌ كثير ثم استشعر الناظم شخصًا كانهُ اورد عليهِ سؤالاً نشأ مما ذكرهُ من اوصافهِ ومعجزاتهِ بانهُ لا حاجة الى بيانك لتلك الاوصاف لانها كانت كالشمس في الظهور اجاب عنهُ فقال

دَعْنِي وَوَصْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ
ظُهُورَ نَارِ الْقِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ
فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهْوَ مُنْتَظِمٌ

وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظِمِ

دعني اي اتركني والوصف هو النعت والآيات هي العلامات والمعجزات وظهرت اي تبينت والقرى بكسر القاف هو اكرام الضيف والعلم بفتحتين هو الجبل العالي على عادة العرب انهم يوقدون النار على رؤس الجبال ليهتدي بها الضيف والدر هو اللؤلؤ والمنتظم هو المجتمع في سلك ونظم الكلام ترتيبه وحاصل معنى البيتين اتركني مع ذكري علامات ظهرت للنبي صلى الله عليه وسلم كظهور النار المتوقدة للضيافة في الليل على جبل عالٍ فيزداد حسنها بنظمها ولا ينقص قدرها اذا لم تنتظم فهي كالدر اذا انتظم في السلك يزداد حسنًا واذا لم ينتظم فيه لا ينقص قدره ثم لما نشأ من هذا البيت من مدح نظمه تزكية نفسه وايهام ابراده جميع مدائحه عليه الصلاة والسلام مع انها لا تعد ولا تحصى اراد دفعه فقال

فَمَا تَطَاوُلُ آمَالِ الْمَدِيحِ إِلَى

مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيَمِ

التطاول هو النظر الى الشيء البعيد وطلب الوصول اليه والآمال جمع أمل وهو الرجا والمديح هو الثناء الحسن والاخلاق جمع خُلق بضمتين وهو ما جبل عليه الشخص والشيم جمع شيمة وهي الغريزة والطبيعة وحاصل معنى البيت اذا كانت آياته صلى الله عليه وسلم لا يدرك لها غاية فكيف تصل آمال المادحين الى ما فيه صلى الله

عليهِ وسلم من استقصاء مكارم الاخلاق والشيم التي جبل عليها ثم شرع في الفصل السادس في مدح القرآن فانهُ لما بين في الابيات السابقة كونهُ واصفًا لآياتهِ صلى الله عليهِ وسلم ومبينًا لها على احسن نظام وطلب من المخاطب ترك الملام فكأن قائلاً قال لهُ ينبغي ان تبين منها ما هو المشهور شرع في بيانهِ فقال

آيَاتُ حَقٍّ مِنَ ٱلرَّحْمٰنِ مُحْدَثَةٌ
قَدِيمَةٌ صِفَةُ ٱلْمَوْصُوفِ بِٱلْقِدَمِ

آيات جمع اية من القرآن محدثة اي نزولها أخذا من قولهِ تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث اي نزولهُ وقديمة اي معانيها قائمة بذاته تعالى والقدم ضد الحدوث والموصوف بالقدم هو الله تعالى لانهُ الاول بلا بداية والآخر بلا نهاية وحاصل معنى البيت آيات حق كائنة من الرحمن محدثة النزول قديمة المعاني لانها صفة الموصوف بالقدم والقديم لا يوصف بحادث

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنَا
عَنِ ٱلْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ

الاقتران هو المصاحبة والمعاد هو عود الخلق بعد اعدامه وعاد هي قبيلة سميت باسم ابيها وهو عاد بن عوص وإرَم بكسر الهمزة وفتح الراء هي مدينة بناها شداد بن عاد بن عوص المذكور وسبب بنائها

انهُ سمع بوصف الجنة وما فيها فقال لابد لي ان ابني مثلها فبناها في ثلاثمائة سنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب وجعل فيها قصورًا من الذهب والفضة واساطينها اي اعمدتها من الزبرجد والياقوت وجعل فيها انهارًا جارية واصنافًا من الشجر وعند كمالها ارتحل اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسير يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا قبل وصولهم اليها كما قال تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وحاصل معنى البيت ان هذه الآيات القديمة لم تقترن بزمان وهي مشتملة على الأخبار عن المعاد في الآخرة قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وعلى اخبار الامم السالفة كقوم عاد امة هود عليهِ السلام وارم ذات العماد التي بناها شداد بن عاد

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ

مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

دامت اي بقيت ولدينا اي عندنا وفاقت اي غلبت والمعجزة هي الامر الخارق للعادة تظهر على يد من يدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكر عن اتيان مثله وجاءت اي انت ولم تدم اي لم تبق وحاصل معنى البيت ان هذه الايات من معجزاته صلى الله عليهِ وسلم وهي باقية بعد وفاته عليهِ الصلاة والسلام فهذه المعجزة فاقت جميع معجزات الانبياء لان معجزاتهم التي جاءوا بها لم تبق

بعد وفاتهم معمولاً باحكامها بل نسخت بهذه الآيات وهي باقية الى يوم القيمة

مُحكَمَاتٌ فَمَا يُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ
لِذِي شِقَاقٍ وَلَا يَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ

محكمات اي متقنات النظم في البلاغة والفصاحة بحيث لا يقدر البشر على الاتيان بمثلها فدل ذلك على انها من عند الله تعالى قال جل شانه وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثلهِ وكلهم قد عجزوا عن معارضتهِ وقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثلهِ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا فما يبقين اي فما يتركن من شبه جمع شبهة وهي التلبيس وذي بمعنى صاحب والشقاق هو الخلاف اي المخالفة لشرعنا ويبغين بفتح الياء اى يطلبن والحكم بفتحتين بمعنى الحاكم يعني ان القرآن لا يحتاج الى حاكم آخر فوقهُ بخلاف الحديث فانهُ مسند الى القرآن وكذا الإجماع والقياس فانهما مسندان الى القرآن او الحديث وحاصل معنى البيت ان هذه الايات محكمة حاكمة ناصرة اهل الحق مزيلة شبه اهل الضلال فما يبقى بها شبهة لصاحب خلاف وما تطلب حاكمًا يحكم على مخالف الحق لظهور براهينها عليهِ

مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرَبٍ

أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْتَقِي السَّلَمِ

ما حوربت اي ما عورضت قطهي ظرف لاستغراق الزمن الماضي وعاد اي رجع والحرب بفتح الراء هي السلب من قولهم حربت الرجل حربا اي سلبته سلبًا والمراد بهِ هنا الشدة مجازًا أعدى الاعادي اي اشدها حرصًا على المعاداة والاعادي جمع اعداء والاعداء جمع عدو فهو جمع الجمع والسلم بفتحتين مع تشديد السين هو الاستسلام والانقياد وحاصل معنى البيت ان هذه الآيات ما عارضها معارض بان اراد ان يأتي بمثلها بحسب ظنهِ الاعجز وعاد اليها اشد الاعادي عداوة مستسلمًا منقادًا من اجل شدة بلاغتها

رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا

رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحُرَمِ

ردت اي صرفت والبلاغة في الكلام مطابقتهُ لمقتضى الحال مع فصاحتهِ والمعارضة هي الاتيان بالمثل والغيور بفتح الغين وضم الياء صيغة مبالغة من الغيرة وهي الهيجان في القلب الحامل على منع الفواحش والجاني من الجناية يقال جنى عليهِ جناية اي فعل بهِ مكروهًا والحرَم بضم الحاء وفتح الراء وقرئ بفتحتين هي اهل الرجل واحدها حرمة وحاصل معنى البيت ان بلاغة هذه الآيات ردت من يعارضها عن معارضتهِ لها ردًا شديدًا كردّ من وصف بكمال الغيرة ونهاية الحمية عن اهله مدّ يد من اراد مكروهًا بهم ثم لما

بين كون الفاظ القرآن في اعلى طبقات البلاغة والفصاحة شرع في بيان معانيها فقال

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْرِ فِي مَدَدٍ
وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي ٱلْحُسْنِ وَٱلْقِيَمِ
فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا
وَلَا تُسَامُ عَلَى ٱلْإِكْثَارِ بِٱلسَّأَمِ

المعاني هو جمع معنى وهو ما يراد من اللفظ والموج هو الاضطراب والمدد بفتحتين هو الزيادة والنصرة والعون فان كل موج في البحر يمد موجاً آخر اذ ما من موجة الا وبعدها موجة والقيم بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة وهي ما يرغب به من ثمن المثل والعجائب جمع عجيبة وهي الشيء العديم النظير ولا تسام اي لا توصف على الاكثار اي مع الاكثار والاكثار هو الكثير الذي لا غاية له والسأم بفتح السين والهمزة مع تشديد السين هو الملل وحاصل معنى البيتين ان هذه الآيات البينات لها معان كثيرة كموج البحر في الازدياد وعدم النفاد وفوق جواهر البحر من اللؤلوء والمرجان في الحسن والقيمة ومع كثرتها لا توصف بالملالة ومعانيها العجيبة العديمة النظير لا تعد ولا تحصى ثم لما بين فضائل الآيات شرع في بيان بعض من فواضلها السارية الى الغير فقال

قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ
لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ ٱللهِ فَٱعْتَصِمِ
إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى
أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا ٱلشَّبِمِ

قرّت اي بردت بالسرور وزاد نورها وظفرت اي فزت وبحبل الله اي بسبب يوصلك الى دار كرامته فاعتصم اي فاستمسك به وتتلها اي تقراها وخيفة اى خوفًا ولظى هو اسم طبقة من طبقات النيران ووِردها بكسر واوها اي موردها والشبم بفتح الشين المعجمة مع التشديد وكسر الباء الموحدة هو البارد وحاصل معنى البيتين ان هذه الآيات الكريمة قرت عين قارئها بسببها فقلت لهُ والله لقد فزت من الله تعالى بسبب يوصلك الى دار كرامته فاستمسك بهِ وانك تقرأها خوفًا من نار جهنم اطفأت ايها القارى حرها بتلاوتك فشبه الايات بالماء البارد لانها سبب حياة الارواح كما ان الماء سبب حياة الاشباح أَوْلان الايات تطفىء حرارة نار جهنم كما ان الماء يطفىء حرارة العطش

كَأَنَّهَا ٱلْحَوْضُ تَبْيَضُّ ٱلْوُجُوهُ بِهِ
مِنَ ٱلْعُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُهُ كَٱلْحُمَمِ

وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةً
فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

المراد بالحوض الكوثر والعصاة جمع عاص وهو ضد المطيع والحميم بضم الحاء وفتح الميم الاولى جمع حممة بضم الحاء وفتح الميم وهي جمرة انطفأت نارها وبقيت فحمة مسودة والقسط بكسر القاف وسكون السين المهملة هو العدل والصراط هو جسر منصوب على متن جهنم والميزان هو ما يوزن به اعمال المكلفين والوزان هو جبريل والناس هو اسم جمع انسان ولم يقم اى لم يدم وحاصل معنى البيتين ان الايات الكريمة وهي القران العظيم في تبييض وجوه القارئين لها من ظلمة المعاصي كحوض الكوثر في تبييض وجوه العصاة من ظلمة عذاب جهنم اذا جاؤه كالفحم الاسود فعبر بالوجوه عن الذوات وبينها بالعصاة وعبر عن الماء بالحوض لانه محله وانها ايات حق مستقيمة عادلة كالصراط في الاستقامة وفي كونه موصلاً الى المطلوب وكالميزان في العدل الدائم فاذا كان الامر كذلك فطلب العدل في الدنيا بين الناس المعهودين وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم من غير هذا القرآن لم يعتدل ولم يستقم فقيام الدنيا واهلها انما هو بالعدل وهو قائم بالشريعة وهي انما قامت بالقرآن ثم لما وصف الايات الكريمة بما ذكره استشعر شخصاً قال له على وجه التعجب اذا كانت الايات بالمنزلة التي وصفت بها فكيف انكرها

كثير من بلغاء العرب اجاب عن ذلك بقولهِ

لَا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهـــا
تَجَاهُلاً وَهُوَ عَيْنُ ٱلْحَاذِقِ ٱلْفَهِمِ
قَدْ تُنْكِرُ ٱلْعَيْنُ ضَوْءَ ٱلشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ ٱلْفَمُ طَعْمَ ٱلْمَآءِ مِنْ سَقَمِ

لاتعجبن اي لاتستعظم والحسود هو الذى يتمنى زوال النعمة عن غيره سواءٌ وصلت اليهِ ام لا وراح ينكرها اى ذهب ينكرها ويجحدها والتجاهل هو ان يظهر الجهل من نفسه وليس هو كذلك والحاذق هو الماهر والفهم بفتح الفاء وكسر الها هو شديد الفهم والرمدُ هو داءٌ يصيب العين والسقم بفتح السين المهملة مع التشديد وفتح القاف هو المرض وحاصل معنى البيتين لاتعجب ولا تستعظم ايها المومن بهذه الآيات من حسود للنبي صلى الله عليهِ وسلم حملهُ حسده على انكارها تجاهلاً منهُ والحال انهُ عالم بحقيقتها وبلاغتها وفصاحتها وليس بجاهل وانما هو نفس الحاذق الشديد الفهم ولكن بقلبه مرض أجاه وحملهُ على انكارها فان العين الباصرة اذا رمدَت تنكر ضوءَ الشمس وان الفم اذا حصل لهُ سقمٌ ينكر طعم الماء العذب ثم شرع في ذكر الفصل السابع في بيان المعراج فقال

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ ٱلْعَافُونَ سَاحَتَهُ

سَعْيًا وَفَوْقَ مُتُونِ الْأَيْنُقِ الرُّسُمِ
وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ
وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُغْتَنِمِ

يمم اي قصد والعافون جمع عاف وهو السائل الطالب للصدقة والساحة هي الناحية والمراد هنا فضاء الدار والسعي هو المشي السريع والمتون جمع متن وهو الظهر والاينق جمع ناقة والرسم بضم الراء والسين جمع رسوم بفتح الراء وهي الناقة التي تؤثر في الارض من شدة الوطيء او هي الناقة المسرعة في السير والآية هي العلامة والمعتبر هو الذي يصرف فكره الى معرفة الحق من الباطل والنعمة هي رغد العيش والمغتنم بضم الميم وسكون الغين وفتح التاء وكسر النون هو أخذ الشيء غنيمة وحاصل معنى البيتين ياخير من قصد السائلون ساحة داره ساعين على الاقدام وراكبين فوق ظهور الابل السريعة في السير و ياخير من هو العلامة الكبرى لمن يريد معرفة الحق من الباطل و ياخير من هو النعمة العظمى لمن يغتنم النعم وهي الهداية الى الاسلام

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ
كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

سريت اي سرت ليلاً والحرم هو المكان المحترم والبدر هو القمر عند كماله والداجي هو المظلم وترقى اي تصعد وقاب قوسين هو بيان للمنزلة والقاب هو المقدار والقوسين من قسيّ العرب وهو عن كمال القرب مع رعاية الادب وذكر القوس كما ذكر في القرآن لانهُ نزل بلغة العرب فان من عادة العرب ان الاميرين او الحليفين اذا ارادا الصلح خرجا بقوسيهما فالصق كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه والمراد بكمال القرب هنا قرب المنزلة لا بالمكان والزمان فان الله منزه عن ذلك لم تدرك اي لم يصل اليها احد ولم ترم اي ولم تطلب لعزة مكانها ومكانتها وحاصل معنى البيتين سريت يارسول الله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ليلاً كما سرى البدر في ليل مظلم ولا زلت ترقى الى ان نلت منزلة قريبة قرباً معنوياً من الحضرة القدسية بمقدار قرب قوسين لبعضهما عند عقد صلح الحليفين وهذه المنزلة لم يصل اليها احد من الانبياء غيرك ولم يطلبها لعزة مكانها ولعلمه بانها ليست الاّ لك

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ ٱلْأَنْبِيَاءِ بِهَا

وَٱلرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ ٱلسَّبْعَ ٱلطِّبَاقَ بِهِمْ
فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ ٱلْعَلَمِ

اي جعلتك جميع الانبياء والرسل أمامهم بفتح الهمزة لعلو منزلتك على منازلهم التي اقتضت تقديمهم لك اماماً بكسر الهمزة في صلاتهم تلك الليلة بها اي في بيت المقدس تقديم مخدوم على خدم فان المقدم في مرتبة المخدوم . والمتاخر في مرتبة الخادم وانت تخترق الواو اما عاطفة لقولهِ وانت تخترق على قولهِ وقدمتك الخ . من عطف الجملة الاسمية على الفعلية واما حالية والجملة بعدها حال منتظرة وتخترق اي تقطع السبع الطبقات اي السموات السبع اخذاً من قولهِ تعالى سبع سموات طباقاً والمراد ان بعضها فوق بعض بهم اي مارًا بهم في موكب بفتح الميم وسكون الواو وكسر الكاف اي في جماعة من الملائكة والعلم هو رمح في راسهِ راية والمراد بصاحب العلم هنا كبير القوم المقدم عليهم وحاصل معنى البيتين ان جمع الانبياء والرسل قدمتك عليهم لعلو منزلتك على منازلهم التي اقتضت تقويمهم لك اماماً لهم في صلاتهم تلك الليلة في بيت المقدس كما روى انهُ حشرلهُ جميع الانبيا والرسل ليلة الاسرا وصلى بهم في المسجد الاقصى تقديماً كتقديم المخدوم على الخدم والحال انك تخترق السموات السبع

انتظارًا وتقديرًا سماء بعد سماء حال كونك مارًا بالرسل واحدًا بعد واحد اي ببعضهم كما هو معلوم من حديث المعراج وانت في جمع من الملائكة الكرام صاحب التحية والاكرام

حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْوًا لِمُسْتَبِقٍ
مِنَ ٱلدُّنُوِّ وَلَا مَرْقًى لِمُسْتَنِمِ

حتى هنا غاية لقوله تخترق الخ وتدع اي تترك وشأوًا اي غاية لمستبق اي ساع ليسبق والدنو هو القرب ومرقى بالتنوين اي موضع الرقي وهو الدرجة . ولمستنم اي لطالب رفعة وحاصل معني البيت لازلت تخترق وتقطع المسافات العالية الى وقت لم تترك فيه غاية لمن يريد السبق الى القرب ولا موضع رقي لطالب رفعة

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِٱلْإِضَافَةِ إِذْ
نُودِيتَ بِٱلرَّفْعِ مِثْلَ ٱلْمُفْرَدِ ٱلْعَلَمِ
كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ
عَنِ ٱلْعُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتَمِ

خفضت هنا جواب اذا في البيت السابق والخفض حط الرتبة والمقام بفتح الميم هو المنزلة والندا بكسر النون مع التشديد هو طلب الاقبال والمفرد هو المتوحد في قومه والعلم بفتحتين هو المشهور عالي

القدر وكيما تفوز اي كي ان تظفر بوصل من الله تعالى وهو ضد القطع أي مستتر عن العيون وسرّ اي مكتتم بتشديد اي مع الكسر في الموضعين وهو لفظ دال على معنى الكمال ومكتتم بفتح التائين وحاصل معني البيتين خفضت كل مقام لغيرك بالنسبة الى مقامك حين نوديت بالارتفاع نداء من قِبَل الله تعالى مصحوبا برفع شأنك الى ما لا يصلهُ احد غيرك وهو أعلى مقامات القرب حال كونك مماثلاً للمفرد العلم المتوحد بين افراد صنفهِ لاجل ان تفوز بوصل كامل في الاستتار عن العيون وسر كامل في الاكتتام عن غيرك من الخلق وهذا مأخوذ من حديث علمني ربي ليلة الاسرار علوماً شتى فعلم اخذ على كتمانهُ وعلم خيرّني فيهِ وعلم امرني ان ابلغهُ قال على رضى الله عنهُ فكان يسر الى ابي بكر وعمر وعثمان والي ّما خير فيهِ ولا يخفى ما في هذا البيت من صنائع البديع وهي صنعة مراعاة النظير وهي جمع امر وما يناسبهُ لا بالتضاد حيث جمع بين الخفض والاضافة وبين الندا والرفع والمفرد العلم وصنعة الطباق وهي الجمع بين المعنيين المتقابلين في الجملة يعنى بين الخفض والرفع ثم لما ذكر الوصلة الى جمال الرب ونيلهِ السر الذي لم يطلع عليهِ احد من الخلق اراد ان يبين بعض ما يتفرع على تلك الوصلة من الفضائل فقال

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ
وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ

وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ
وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ

فخرت اي فجمعت والفخار بفتح الفاء هو ما يفتخر به من الفضائل والمشترك ضد المختص وجزت اي عثرت وتجاوزت والمقام هو المنزلة والازدحام هو الاجتماع مع المنازعة وجل اي عظم وما وليت اي قلدت وصار امره اليك والرتب جمع رتبة وهي الدرجة العالية والمناصب الشريفة وعز بفتحتين مع تشديد الزاي بمعنى امتنع يقال عز الشيء اذا امتنع وعسر حصوله والادراك هو الوصول واللحوق وأوليت اي اعطيت والنعم جمع نعمة وحاصل معنى البيتين فجمعت كل فخر مستقل ومختص بك غير مشترك بينك وبين غيرك وعبرت كل مكان بمفردك غير مزاحم لغيرك وعظم ما وليت من المناصب الشريفة وامتنع الوصول الى كمال ما اعطيت من الفضائل المنيفة فلا يحصل لاحد غيرك

بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا
مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمِ
لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ
بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ

بشرى من البشارة وهي الخبر السار المفيد للبشر والفرح ومعشر هو

الجماعة الذين يشملهم وصف واحد والعناية هي الاعتنا بالحاجة والركن هو ما يقوم بهِ الشيء و يستند عليهِ الانهدام هو التغير والزوال لما بمعني حين دعا الله اي سمي الله داعينا والداعي بمعني الهادي والسفير للدعوة والمراد بهِ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم لطاعته اي لعبادتهِ وهي ضد المعصية والامم جمع امة بمعنى الجماعة وحاصل معنى البيتين بشرى عظيمة لنا ايها المسلمون لان لنا ركنًا من العناية بنا في الازل وهو شريعة باقية غير منسوخة ولما سمي الله النبي صلى الله عليهِ وسلم الذي دعانا لطاعتهِ تعالى باكرم الرسل كنا معشر امته اكرم الامم لان الامة تابعة والنبي متبوع فاكرمية التابع انما هي من اكرمية المتبوع وتسميته تعالى اياه عليهِ السلام باكرم الرسل قد ثبت بالاخبار الصحيحة كقولهِ عليهِ الصلاة والسلام انا اكرم الخلق على الله ولا فخر ومن دونه تحت لوائي ثم شرع في الفصل الثامن وهو في ذكر الجهاد فقال

رَاعَتْ قُلُوبَ ٱلْعِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ
كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلًا مِنَ ٱلْغَنَمِ
مَا زَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ
حَتَّى حَكَوْا بِٱلْقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ

راعت اي افزعت والانباء هي الاخبار والمراد بها التي صدرت من الكهان والاحبار والبعثة هي الرسالة والنبأة هي زائغة الاسد اي

صيحة واجفلت اي اهربت وفرقت وافزعت وغفلا بضم الغين وسكون الفاء جمع اغفل وهو البليد الغافل الزي لايحس بالامارات الواضحة والغنم هو اسم جنس يطلق على الكثير والقليل والمعترك هو موضع الاعتراك وهو الازدحام في الحرب وحكوا بفتحتين فسكون اي شابهوا والقنا بفتح القاف جمع قناة وهو الرمح والوضم بفتح الواو والضاد هو ما يضع عليه القصاب اللحم معداً المن ياخذه وحاصل معنى البيتين أن اخبار رسالته صلى الله عليه وسلم افزعت قلوب الاعدا وفرقت شملهم كما افزعت صيحة الاسد قلوب غنم غافلة رائعة في ربيعها مشتغلة في اكلها وشهواتها وما زال صلى الله عليه وسلم يجاربهم حتى تركهم بسبب الرماح جرحى وقتلى وصاروا كلحم ملقي على الارض تاكلة السباع والوحوش والطيور

وَدُّوا ٱلْفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ
أَشْلَآءَ شَالَتْ مَعَ ٱلْعِقْبَانِ وَٱلرَّخَمِ
تَمْضِي ٱللَّيَالِي وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا
مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي ٱلْأَشْهُرِ ٱلْحُرُمِ

وَدوا اي تمنوا والفرار هو الهرب وكادوا اي قاربوا والغبطة هي تمني مثل حال المغبوط ولم يرد زوالها وأشلاء بهمزتين مفتوحتين جمع شلو بكسر الشين المعجمة وسكون اللام هو العضو من اللحم وشالت

اي ارتفعت والعقبان بكسر العين المهملة جمع عقاب هو نوع من سباع الطير يصاد و يصاد بهِ والرخم بفتح الراء والخاء جمع رخمة بفتحات هو نوع من الطير الذي يقع على الجيفِ وتمضي اي تمر وتنقضي والليالي جمع ليلة على غير قياس والمراد الليالي والايام وخص الليالي بالذكر لان مقاساة الهموم فيها اشد ولا يدرون اي لا يعلمون والعدة هي العدد والاشهر الحرم هي اربعة رجب وذو القعده وذو الحجة والمحرم والحرم بضمتين جمع حرام وحاصل معنى البيتين تمني الاعداء الفرار من الحرب لشدة ما حصل عليهم فلم يقدروا عليهِ فقاربوا من كمال خوفهم ان يتمنوا بان يحصل لهم مثل ما حصل لاعضاء امثالهم حين وقعت عليها الطيور فاكلت منها ما اختارت وارتفعت منها بما شأت ليتخلصوا مما هم فيهِ لان الانسان اذا اشتد عليهِ الحال ولا يجد لشدتهِ فرجاً ولا لضيقهِ مخرجاً يتمنى الموت واذا استولى عليهِ الخوف لا يميز بين الايام والليالي ولا يضبط عدد الليل والنهار فكذلك هولاء تمر عليهم الليالي والايام لا يعرفون عددها لشدة ما حصل عليهم من القتال والمحاربة لهم فاذا دخلت الاشهر الحرم عرفوها بامساك النبي صلى الله عليهِ وسلم عن القتال فيها رعاية لحرمتها و وفاء بحقها

كَأَنَّما ٱلدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُم
بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ ٱلْعِدَا قَرِمِ

الدين هو الاسلام وحل اي نزل بساحتهم اي الصحابة المفهوم من قوله مازال يلقاهم في كل معترك فانهم هم جيش المعارك معهُ وقرم بفتح القاف وسكون الراء هو السيد الشجاع والعداهم الكفار وقرم بفتح القاف وكسر الراء هو شديد الحرص على قتل اعداء الدين وحاصل معنى البيت كأنّ دين الاسلام ضيف نزل وحل ساحة الكرام مع كل شجاع شديد الحرص والشهوة الى لحم العدا المسلمين ومن شان المضيف ان يشبع ضيوفه مما يشتهون والغرض بذلك هو الاخبار بكثرة القتل في الكفار

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ
يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ
مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلّٰهِ مُحْتَسِبٍ
يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

البحر هو كناية عن الكثرة وخميس هو الجيش وسمي خميسًا لانهُ خمس فرق المقدمة والقلب واليمنة واليسرة والساقة والسابحة هنا هي الخيل المسرعة في المشي ماخوذ من السباحة وهو العوم في الماء والابطال جمع بطل بفتحتين وهو الشجاع وموج ملتطم اي دخل بعضه على بعض لكثرته والمنتدب هو المجيب يقال تدبه لكذا فانتدب اي دعاه فاجابه والمحتسب هو من يقدم الخير ويدخر ثوابه عند الله تعالى ويسطو

اي يصول ومستاصل للكفر اي قالعه من اصله ومصطلم اي مهلك، وحاصل معنى البيتين يجر ذلك الضيف جيشاً يموج كموج البحر الملتطم فوق خيل سابحة جادة في الجرى بكل فارس منتدب لله تعالى محتسب بعمله عند الله تعالى يصول بسيف قاطع قالع لاهل الكفر مهلك لاهله

حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهْيَ بِهِمْ
مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةُ الرَّحِمِ
مَكْفُولَةً أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ
وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ

غدت اي صارت والملة هي الشريعة وهي بهم اي مصحوبة بهم اي بالصحابة من بعد غربتها اي من بعد بُعدها عن اهلها موصولة الرحم وصلة الرحم هو قرب ذوي الارحام بعضهم من بعض والمراد هنا كثرة القيام بحقها لكثرة من ينتمي اليها ويدخل فيها اشار بذلك الى حديث مسلم بدا الاسلام غريباً اي ظهر بين قوم لا يقومون بحقه فهو مقطوع الرحم ثم قامت الصحابة بحقه فصار موصول الرحم مكفولة ابداً اي محفوظة دائماً منهم اي من الكفار من افسادهم ودسائسهم رحمة باهلها بخير اب وخير بعل وهو النبي صلى الله عليه وسلم فانه اشفق على امته من الاب على اولاده واقوم بمصالحهم من البعل اي الزوج على زوجاته فلم تيتم اليتم هو موت الاب والابن دون

البلوغ يقال يتم الصبي بكسر التاء فهو يتيم اذا مات ابوه ولم تئم بفتح التاء وكسر الهمزة من آمت المرأة تئيم اذا خلت من الزوج بوزن باعت تبيع ومنه قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وحاصل معنى البيتين ما زال هذا المنتدب يسطو و يصول بسيفه حتى صارت ملة الاسلام موصولة بعد ان كانت مقطوعة الوصلة وصارت مكفولة بخير اب وخير زوج وهو النبي صلى الله عليه وسلم فلم يحصل لها يتم من جهة الأب ولا تأيم من جهة الزوج لانه صلى الله عليه وسلم ابو الملة و بعلها في الشفقة على اهلها ثم كأن المصنف استشعر سائلاً يقول من الذين صارت بهم الملة الى هذه الحالة فقال مجيبًا له

هُمُ ٱلْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ
مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ
وَسَلْ حُنَيْنًا وَسَلْ بَدْرًا وَسَلْ أُحُدًا
فُصُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أَذْهَى مِنَ ٱلْوَخَمِ

هم اي الصحابة الكرام رضى الله عنهم الجبال جمع جبل والمراد بهم هنا الابطال فسل عنهم مصادمهم اي من صادمهم من الكفار في الحرب والمصطدَم هو محل الاصطدام وحنين هو واد قريب من الطائف و بدر هو اسم ماء بين مكة والمدينة وأحد هو جبل بقرب المدينة المنورة والمراد بهذه الامكنة الثلاثة الغزوات التي وقعت عندها

وفصول حنف الفصول هي الانواع والحنف هو الهلاك اي عن انواع الهلاك وادهى من الداهية وهي الآفة العظيمة والبلية الجسيمة والوخم بفتحتين هو الوباء وحاصل معنى البيتين هم الابطال الراسخون في القتال فاسال عنهم من صادمهم في الحرب ما الذي رآه منهم في كل موضع من مواضع الاصطدام واسال عنهم اهل وقعة حنين ووقعة بدر ووقعة احد عن انواع هلاك حاصل لهم اشد اصابة من الوباء انصبت عليهم من قبل الصحابة رضي الله عنهم فان من يموت منهم في زمن الوباء مع تطاوله لا يبلغ كثرة من يموت منهم في زمن مقاتلة المؤمنين

أَلْمُصْدِرِي ٱلْبِيضِ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ
مِنَ ٱلْعِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ ٱللِّمَمِ
وَٱلْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ ٱلْخَطِّ مَا تَرَكَتْ
أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

المصدري بضم الميم جمع مصدر بمعنى مرجع بضمها ايضًا والبيض جمع ابيض والمراد السيوف المصقولة وحمرًا جمع احمر والورود هو الاتيان والعدا هو اسم جمع عدو ومسود بضم الميم هو اسم مفعول من اسود بتشديد الدال واللمم بكسر اللام مشددة مع فتح الميم الاولى جمع لمة بكسر اللام وتشديد الميم مع فتحها هي الشعر اذا

جاوز شحمة الاذن والسمر هي الرماح والخط هو شجر يؤخذ منهُ خشب الرماح واسم موضع بالیمامة تجلب اليهِ الرماح من الهند والاقلام هنا اسنة الرماح ونصولها والحرف هو الطرَف بفتح الراء والمنجم هو المنقوط بالنقط والمراد هنا المنطعن بالرماح وحاصل معني البيتين اذكر على طريق المدح المرجعين اسيافهم المصقولة حالة كونها حمراء من دم القتلى بعد ما وردت كل شخص مسود الشعر من العدا وطعنت الرماح الخطية كل جسم فلم تترك طرفًا منهُ بلا اثر طعنة وفي ذلك دليل على شجاعة الصحابة رضي الله عنهم حيث لا يرضون الا بقتل سود اللمم من العدا وهم الشبان في الغالب ثم قال

شَاكِي ٱلسِّلَاحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ
وَٱلْوَرْدُ يَمْتَازُ بِٱلسِّيمَا عَنِ ٱلسَّلَمِ
تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ ٱلنَّصْرِ نَشْرَهُمُ
فَتَحْسَبُ ٱلزَّهْرَ فِي ٱلْأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي

شاكي من الشوكة وهي الحدة يقال رجل شاكي السلاح اي حاد السلاح والسلاح هو الة الحرب والسيما هي العلامة تميزهم اي تعينهم عن غيرهم والسلم بفتحتين مع تشديد السين هو شجر لهُ شوك يشبه الورد ويمتاز الورد عنهُ بحسن الخلقة وبهاء المنظر وطيب الرائحة

ويمتاز في النَّوْرِ بفتح النون مع التشديد فان شجر الورد نَوْرُهُ احمر غالبًا والسلم نورهُ اصفر وتهدى من الهدية والرياح جمع ريح والنصر هو التأييد وقهر الاعداء والنشر هو الرائحة الطيبة فتحسب اي فتظن والاكام بفتح جمع كم بكسر الكاف وهو الغلاف بكسر الغين الذي يكون على الزهر والكميُّ بتشديد الياء وخفف للضرورة هو الرجل الشجاع الذي يكمي جسده اي يستره بالسلاح وحاصل معنى البيتين والابطال في حال كونهم حادين السلاح لهم بذلك علامة تميزهم عن غيرهم كما يمتاز الورد عن السلم بعلامة وهي طيب الرائحة وبهاء المنظر وحسن الخلقة تهدى اليك رياح النصر والتأييد خبرهم الطيب فتظن انت كل شجاع منهم في استتاره بسلاحه ودوروعه كانهُ الزهر في استتاره بكمامهِ لانهُ في كمامهِ احسن منظرًا واطيب رائحة من نفسهِ اذا كان خارج كمامهِ ثم قال

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ ٱلْخَيْلِ نَبْتُ رُبًا
مِنْ شِدَّةِ ٱلْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ ٱلْحُزُمِ
طَارَتْ قُلُوبُ ٱلْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا
فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلْبُهْمِ وَٱلْبُهَمِ

الخيل اسم جمع واحد في المعنى فرس وربا بضم الراء وفتح الباء مع القصر جمع ربوة بفتح الراء وكسرها وضمها وهي المرتفع من الارض

وشدة بكسر الشين والحزم بفتح الحاء وسكون الزاي وهو قوة الثبات وشدة الثانية بفتح الشين كما ان الحزم الثانية بضم الحاء والزاي جمع حزام وهو شد سرج الفرس بالربط والاستحكام التامين وطارت اي اضطربت وبأسهم اى شدتهم في الحرب وفرقًا بفتح الفاء والراء اى خوفًا فما تفرق بضم التاء وفتح الفاء وكسر الراء مشددة والبهم بفتح الباء وسكون الهاء جمع بهمة بفتح الباء وسكون الهاء وفتح الميم وهي السخلة والبُهم بضم فضم جمع بهمة بضم فسكون وهو الشجاع وحاصل معنى البيتين كأنهم في ثباتهم على ظهور الخيل مثل ثبات نبت ربا فانهُ اثبت في الارض من نبت غيرها لطول عروقهُ ووصولهِ الى الماء وثباتهم على ظهور الخيل من شدة حزمهم وقوة جودة رأيهم وتدبيرهم لا من ربط الحزم التي يربط بها السرج واضطربت قلوب الاعادي من ثباتهم في الحرب خوفًا منهم حتى صارت من الخوف لا تفرق من دهشتها بين سنخال الغنم وشجعان الفرسان ثم لما ذكر انهُ حصل للعدا الفزع الشديد من بأس الصحابة رضي الله عنهم شرع الى الاشارة بان ذلك انما هو بسر رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فقال

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ ٱللهِ نُصْرَتُهُ
إِنْ تَلْقَهُ ٱلْأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ
وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ

بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ

النصرة هي التأييد والأسدُ جمع اسد وهو الحيوان المفترس والاجام جمع أَجمة وهي الغابة وتجم بفتح التاء وكسر الجيم من وجم يجم وجوماً وهي اما بمعنى تمسك او تسكت او تحزن لخوف او هيبة ولن تري اي لن تبصر من ولي وهو من آمن بالنبي وكان على هدية والمنتصر هو المنتقم من خصمهِ والمنقصم بالقاف بعه النون هو المنكسر المنقطع وحاصل معنى البيتين ومن تكن نصرتهُ وتأييده باعانة رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فهو المنتصر والمؤيد ولو لقيتهُ الاسد في غاباتها التي هي اشد فيها بالوثوب من غيرها سكنت وخضعت لهُ فلذلك لا تبصر وليًا مؤمنًا بهِ وكائنًا على هديه الا وهو بهِ منصور ولا تبصر عدوًا كافرًا به الا وهو بهِ منكسر مقطوع مقهور ثم لما ذكر الانتصار بهِ صلى الله عليهِ وسلم ربما يتوهم ان ذلك خاص بالصحابة رضي الله عنهم دون سائر امتهِ دفع ذلك التوهم بقولهِ

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ
كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجَمِ

احل أي انزل امته اي امة الاجابة في حرز ملته اي في حصنها الحصين والملة هي الدين الذي أملى من السماء وهو دين الاسلام والليث هو الاسد والأشبال جمع شبل بكسر الشين وهو ولد الاسد وأجم

بفتح الهمزة والجيم جمع اجمة وهي الغابة وحاصل معني البيت انزل النبي صلي الله عليهِ وسلم امته في حصن دينه الحصين من نار الكفر كما ينزل الليث مع اولاده في الغابة للتحصين من عدو يطرقهم والتشبيه بالاسد في السلطنة وكمال الشجاعة ورفعة الهمة وشدة البطش لمن يتمرد عليهِ وعدم التعرض لمن يتذلل لهُ والشفقة على اتباعه وشبه الامة بالاشبال لانهُ صلى الله عليهِ وسلم اصلهم في الاسلام وسبب حياتهم الحقيقية وازواجه امهاتهم وشبه الملة بالاجم لانها محل الحفظ وسببه ثم لما كانت النصرة تارة تكون بالسيف وتارة تكون بالحجج وقد تقدم الكلام على الحالة الاولى وهي حالة السيف اخذ يتكلم على الحالة الثانية فقال

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ ٱللهِ مِنْ جَدِلٍ

فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ ٱلْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ

كم هي خبرية بمعنى كثيرًا وجدلت من التجديل وهو الوضع على الارض والمراد هنا قطعت وازالت وكلمات الله هي القران العظيم وجدِل بفتح الجيم وكسر الدال هو شديد الجدال فيهِ اي في امر النبي صلى الله عليهِ وسلم والبرهان اي الدليل القاطع وهو المعجزات وخصم بفتح الخاء وكسر الصاد هو شديد الخصام وحاصل معنى البيت كثيرًا ما ازال القرآن جدال المجادل في امره صلى الله عليهِ وسلم وكثيرًا وما ازال البرهان القاطع وهو المعجزات الباهرات

خصومة شديد الخصومة في امره صلى الله عليه وسلم ثم لما ذكر انهُ كثيرًا ما خصم البرهان من خصم شديد الخصومة عقب ذلك بذكر برهانين فقال

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجِزَةً
فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُتْمِ

الامي منسوب الى الام كانهُ باق على اصل الخلقة التي نزل عليها من امه لم يقرأ من الخط ولم يتعلم بطريق العادة من معلم وهو وصف مدح بالنسبة لهُ صلى الله عليه وسلم لانهُ دليل على ان القرآن من عند الله واما بالنسبة لغيره صلى الله عليه وسلم فهو وصف ذم والجاهلية هي عبارة عن زمان لا علم فيهِ والتأديب من الأدب وهو ما يحصل للنفس من الاخلاق الحسنة وما يحصل من العلوم المكتسبة واليتم بضم الياء والتاء على لغة وحاصل معنى البيت كفاك ايها المخاطب بالعلم الذي جاء بهِ النبي صلى الله عليه وسلم معجزة لهُ مع كونه اميا لا يقرأ من الخط ولا يكتب ومع كونه مولودًا في زمن الجاهلية الذين لا علم عندهم يكتسبهُ منهم وكفاك بالتأديب الحاصل منهُ معجزة لكونه من غير مودب مع انهُ رُبي يتيمًا لا أب لهُ يؤدبهُ ثم شرع في الفصل التاسع في طلب المغفرة فقال

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ

ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي ٱلشِّعْرِ وَٱلْخِدَمِ
إِذْ قَلَّدَانِيَ مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ
كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ ٱلنَّعَمِ

خدمتهُ اي النبي صلى الله عليهِ وسلم بمديح والمديح هو الذي يمدح بهِ من الثناء الحسن واستقيل اي اطلب الاقالة وهي العفو والذنوب جمع ذنب وهي الجرائم وعمر الشيء هو مدة حياته ومضى اي ذهب وقارب الفراغ والشعر هو الكلام الموزون والخدَم بكسر الخاء وفتح الدال جمع خدمة وهي ما يتقرب بها الى الغير وقلداني من قلدتهُ الامر اي جعلتهُ كالقلادة في عنقه والخشية هي الخوف والعواقب جمع عاقبة وهي ما يؤُل اليها الامر وعاقبة كل شيء آخره والهدي بفتح الهاء وسكون الدال هو ما يهدى الى مكة للذبح فيها ومن شأن الهدى ان يقلد بجعل شيء في عنقهِ ليعلم انهُ هدى فلا يتعرض لهُ بشيء والنعم بفتح النون مشددة وفتح العين هي الابل والبقر والغنم وحاصل معنى البيتين خدمت رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بمديح اطلب بهِ من الله تعالى العفو عن اوزار عمر انقضى غالبه في انشاد الشعر والخدم لابناء الدنيا من الملوك واصحاب الدولة فان الشعر والخدم جعلا الآثام التي تخشى عواقبها من انواع العذاب قِلادة في عنقي وكاني في التقليد اشبه النعم المقلدة للهدي الى الحرم

أَطَعْتُ غَيَّ ٱلصِّبَا فِي ٱلْحَالَتَيْنِ وَمَا
حَصَّلْتُ إِلَّا عَلَى ٱلْآثَامِ وَٱلنَّدَمِ
فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا
لَمْ تَشْتَرِ ٱلدِّينَ بِٱلدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ
وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ
يَبِنْ لَهُ ٱلْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ

اطعت اي امتثلت والغي هو الضلال والصبا بكسر الصاد مع التشديد هو حداثة السن وفي الحالتين هما حالة الشعر وحالة الخدم والآثام هي الذنوب والندم هو الحسرة والتأسف والخسارة هي ضد الربح والتجارة هي طلب الربح بالبيع والشرا والسوم هو العرض للشرا والآجل بمد الهمزة هو ما يأتي بعد اجل ومدة والمراد به هنا العقبى وما يتعلق بالدين او ثمرته تظهر في الآخرة والعاجل هو ما يأتي عجلة والمراد به هنا الدنيا ويبيع من البيع وهو الاستبدال والاخراج من اليد ويبن من البيان اي يظهر والغبن هو الضرر الزائد زيادة فاحشة والسلم بفتحتين هو نوع من انواع البيع وحاصل معنى الابيات الثلاثة امتثلت امر ضلال الصبا في حالة اشتغالي بالشعر في مدح ابناء الدنيا وفي حالة اشتغالي بخدمهم

فما حصل لي الا الاثم والندامة فما اخسر نفسي في تجارتها اذ لم تاخذ الدين بدل الدنيا ولم تتعرض لاخذه بل اخذت الدنيا وتركت الدين الذى تنجو بهِ في الآخرة فان من يبع الأجل وهو الثواب في الآخرة بالعاجل وهو حطام الدنيا يظهر لهُ الغبن في بيع حاصل منهُ وفي سلم حاصل لهُ عند اشراق نور الهداية عليهِ في الدنيا او عند مشاهدة ذلك في الدار الاخرة ثم لما ذكر كون نفسه منغمسة في اودية المعاصي والاوزار وعدم كسبها ربحًا ينفع في دار القرار فوقعت نفسه في دهشة وحيرة وكادت ان تقطع الرجا من المغفرة شرع في تسليتها وتأنيسها ببيان ما يكون سببًا لدفع دهشتها وحيرتها فقال

إِنْ آتِ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ
مِنَ ٱلنَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ
فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي
مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى ٱلْخَلْقِ بِٱلذِّمَمِ

العهد هو الميثاق ونقض العهد هو عدم الوفاء بهِ والحبل هو الوصل والمنصرم هو المنقطع والذمة هي الامان والتسمية هي جعل الاسم علمًا على ذات واوفى هو اسم تفضيل من وفى بالعهد اذا راعى مقتضاه والذمم جمع ذمة وهي الامان كما تقدم وحاصل معنى البيتين انهُ اذا

وقع متى ذنب في وقت من الاوقات فليس ذلك ينقض عهدى بالايمان والتزام العقائد من النبي صلى الله عليهِ وسلم ولا يقطع حبل وصلتي منهُ لان لي اماناً منهُ بسبب تسميتي باسمهِ الشريف اعني محمدًا وهو عليهِ الصلاة والسلام اكثر الخلق وفاءً بالعهد فقد جاء في ذلك احاديث منها ما روي عن جعفر بن محمد اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فيدخل الجنة كرامة لاسمه صلى الله عليهِ وسلم وفي لفظ آخر ينادى يوم القيمة يا محمد فيرفع رأسه في الموقف فيقول الله عز وجل اشهدكم اني غفرت لكل من اسمه على اسم محمد وعن ابي امامة من ولد لهُ مولود فسماه محمدًا تبركًا كان هو ومولوده في الجنة رواه صاحب الفردوس

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي
فَضْلاً وَإِلاَّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ ٱلْقَدَمِ
حَاشَاهُ أَنْ يُحْرِمَ ٱلرَّاجِي مَكَارِمَهُ
أَوْ يَرْجِعَ ٱلْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ

المعاد هو العود الى دار الجزا والاخذ باليد هو الخلاص من الشدة والفضل هو التبرع تفضلاً بلا مقابلة والاَّ بتشديدها وتجوز بفتحة وبتفحتين فعلى كونها بفتحة واحدة فقط فهي زائدة قال الشيخ خالد الازهري اني سمعت من يقول بين اليقظة والمنام قوله والاَّ زائدة

في الكلام وعلى كونها بفتحتين فهي بمعنى العهد قال الشيخ الخربوتي نقلاً عن بعضهم الا بالتنوين بمعنى العهد قال تعالى لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة انتهى وهو اصوب ما ذكره بعض الشراح من التكلفات التي لاحاجة اليها وزلة القدم كناية عن الوقوع في الشدة وحاشاه اي انزهه تنزيهة ان يحرم بضم الياء وفتحها اي يمنع والرجا هو الطمع في ممكن الحصول والمكارم جمع مكرمة بضم الراء والمراد بها الشفاعة والجار هو المستجير به الداخل في جواره والمحترم بفتح التاء والراء هو الموقر وحاصل معنى البيتين ان لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم في عودي يوم القيمة لدار الجزا آخذًا بيدي فيشفع لي فضلاً منهُ اليَّ وعهدًا لذمتي فيازلة قدمي عن الصراط المستقيم الى نار الجحيم وان كان كما ارجو فروح وريحان وجنة نعيم وحاشا قدره الجليل ان يحرم المستجير الذليل كرمه الجزيل وان يرجع من التجأ الى جواره المنيع وجنابه الرفيع محررما من نواله الوسيع

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ
وَجَدْتُهُ لِخَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَزَمِ
وَلَنْ يَفُوتَ ٱلْغِنَى مِنْهُ يَدًا تَرِبَتْ
إِنَّ ٱلْحَيَا يُنْبِتُ ٱلْأَزْهَارَ فِي ٱلْأَكَمِ
وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ ٱلدُّنْيَا ٱلَّتِي ٱقْتَطَفَتْ

يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ

الزمت نفسي الامر اي جعلتها لازمة له والافكار جمع فكر وهو قوة في الانسان يحصل بها التأمل والمدائح جمع مديحة لاجمع مديح لان وزن فعيل لايجمع فعائل وهي مكارمُ الحسنة واخلاقهُ المستحسنة وملتزم بكسر الزاي من التزم اذا تكفل فهو متكفل والفوت من فاتهُ الشيء اذا سبقهُ فلم يدركه والغني هو الاستغناء بالشفاعة عن الاعمال ويدا تربت اي افتقرت والحيا بالقصر هو المطر والازهار جمع زهر والاكم بفتح الهمزة والكاف جمع اكمة وهي الربوة وزهرة الدنيا هي نعيمها واقتطفت اي جنت وزهير هو ابن سلمى بضم السين كان يمدح هرم بفتح الهاء وكسر الرا هو ابن سنان ابن حيان وهو اجود ملوك العرب وكان يصل زهيرًا بالصِّلات الجزيلة الخارجة عن العادة وحاصل معنى الابيات الثلاثة ومنذ الزمت افكاري محاسنهُ واخلاقهُ الحسنة وجدتهُ خير متكفل لخلاصي من كل مكروه اشار بذلك الى الداء الذي كان قد اصابهُ وهو داء الفالج والعياذ بالله تعالى منهُ وكان هو السبب في انشاء هذه القصيدة كما مر فانهُ لما اصيب بعملها فرأى النبي صلى الله عليهِ وسلم في النوم ومسح بيده الكريمة عليهِ فعوفي فلما استيقظ قال لهُ بعض اصحابه اسمعني القصيدة التي مدحت بها النبي صلى الله عليهِ وسلم فلقد سمعتها بين يديهِ وهو يتمايل مثل القضيب وعطاياه لاتفوت يد فقير ذي فاقة فان

المطر اذا نزل الى الارض عم الصالح منها وغير الصالح وانبت الرياحين والازهار على رؤوس المنازل واطراف الروابي وانا على فقري ومسيس حاجتي ما اريد على مدحه شيأً من حطام الدنيا مثل ما حصل لزهير من هرم بسبب ثنائه عليه حيث مدحه لحطام الدنيا الفانية وانما اريد الشفاعة من وزر البضاعة ثم شرع في المناجات وعرض الحاجات وهو الفصل العاشر فقال

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ
سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِمِ
وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِي
إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ
فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا
وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

الوذ اى التجيء وسواك اي غيرك وحلول الحادث العمم هو وقوع هول يوم القيمة الشامل لجميع الخلق والجاه هو العز والكريم هو الله تعالى شانه وجلت عظمته وتحلى بالحاء المهملة اي اتصف والمراد اذا اوقع الانتقام والمنتقم هو المعاقب لمن عصاه او تجلى بالجيم المعجمة اي انكشف والاول اصح رواية والثاني اصح دراية

وضرة المرأة امرأة زوجها والمراد هنا الآخرة وانما سماها ضرة لان الجمع بينهما متعذر الا ان يوفق الله تعالى كتعسر الجمع بين المرأتين كما قال عليه الصلاة والسلام من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته ومن لطائف ما قيل

عنبت على الدنيا لتاخير عالم
وتقديم ذي جهل فقالت خذ العذرا
بنوا الجهل اولادي لذاك رفعتهم
واهل النهى اولاد ضرتي الاخرى

فلا تكاد ان تجتمعان لطالب واحد لما بينهما من التنافي والعلوم جمع علم وانما جمع باعتبار انواعه والمراد بعلومه صلى الله عليه وسلم هي المعلومات التي اطلعه الله عليها فانه تعالى اطلعه على علم الاولين والاخرين والمراد بعلم اللوح والقلم هو المعلومات التي كتبها القلم في اللوح بامر الله تعالى فان قيل اذا كان علم اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم فما البعض الآخر اجيب بان البعض الآخر هو ما اخبره الله عنه من احوال الآخرة لان القلم انما كتب في اللوح ما هو كائن الى يوم القيمة فقط فمن اكتحلت عين بصيرته بالنور الالهي شاهد بالذوق ان علم اللوح والقلم جزء من علومه كما هي جزء من علم الله تعالى وحاصل معنى الابيات الثلاثة يا اكرم كل مخلوق مالي احد غيرك التجيء اليه يوم القيمة من هوله العميم والخلق متطاولون الى جاهك الرفيع وجنابك المنيع

ولن يضيق بي جاهك يا رسول الله اذا اشتد الامر وعيل الصبر وانتقم الله تعالى ممن عصاه فانك اعظم الخلق عند الله تعالى وان خيري الدنيا والآخرة من جودك فانك السبب في ايجادهما وان علي اللوح والقلم من علمك وانت الحقيق بذلك والمعول في الشفاعة عليك ولا اقطع رجائي منك واقول

يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
انَّ ٱلْكَبَائِرَ فِي ٱلْغُفْرَانِ كَٱللَّمَمِ
لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا
تَأْتِي عَلَى حَسَبِ ٱلْعِصْيَانِ فِي ٱلْقِسَمِ

القنوط هو اليأس والزلة هي الذنب الشامل للكبير وللصغير وعظمت اي كبرت والكبائر جمع كبيرة والغفران هو المغفرة واللمم بفتح اللام مشددة وفتح الميم الاولى هي صغار الذنوب وحسب بفتح الحاء والسين هو القدر والمقدار والعصيان بكسر العين وسكون الصاد هو ضد الطاعة يشمل الصغائر والكبائر والقسم بكسر القاف وفتح السين جمع قسمة وحاصل معنى البيتين يانفس لاتيأسي من مغفرة ذنب كبير ان الذنوب الكبائر كالذنوب الصغائر في جواز الغفران قال تعالى ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لعل رحمة ربي اذا قسمها تاتي على قدر

العصيان فتعم الكبائر والصغائر وانا ذنبي كبير فارجو ان يكون نصيبي من الرحمة بقدره

يَارَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ
وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

الرجا هو الامل وغير منعكس اي مخالف لظني بك والحساب هنا هو الاعتقاد والظن والمنخرم اي الناقص والطف اي وارفق في الدارين اي الدنيا والآخرة والاهوال جمع هول وهو الامر العظيم المشقة والانهزام هو الهرب وحاصل معنى البيتين يارب واجعل ما املتهُ فيهِ غير خائب واجعل ما اعتقدتهُ فيك من العفو غير ناقص عندك فانك وعدتني بالاجابة وقلت ادعوني استجب لكم وارفق بعبدك في الدنيا والآخرة فيما قدرتهُ عليهِ فيهما فان لهُ صبرا ضعيفًا لايقيم على مقاساة الاهوال والشدائد فمتى تدعهُ الاهوال لملاقاتها ينهزم منها من اول الامر ولا يقابلها فيبقى بلا صبر فيهلك فهو مفتقر الى اللطف بهِ والاحسان اليهِ فبا للطف يندفع الهلاك وقد امتثل الناظم في هذا الدعا لامره صلى الله عليهِ وسلم حين سمع رجلاً يقول اللهم هب لي الصبر فقال لهُ طلبت من الله البلا فاطلب منه العافية

وَأْذَنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ
عَلَى ٱلنَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ
مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ ٱلْبَانِ رِيحُ صَبًا
وَأَطْرَبَ ٱلْعِيسَ حَادِي ٱلْعِيسِ بِٱلنَّغَمِ

وأذن اي امر والسحب جمع سحاب وهو الغيم والصلاة على الانبياء طلب مزيد الرحمة والكرامة لهم ويكون افرادها عن السلام واضافة السحب لها من اضافة المشبه به للمشبه في أن كلا منهما رحمة وانهمل المطر اذا سال بشدة وانسجم اذا سال بشدة و بغيرها و رنحت الريح الغصن اماسته وعذبات البان اي اغصانه والبان هو نوع من الشجر له اغصان لطيفة والصبا هو الريح الشرقية سميت صبا لانها تقابل بهبوبها باب الكعبة كانها تصبو اليها والطرب هو الخفة الحاصلة من شدة السرور تقتضي الهزة والحركة والعيس جمع الاعيس كالبيض جمع الابيض وهي الابل التي يخالط بياضها الشقرة وقيل هي كرم الابل وحاديها هو الذي يسوقها والحدو سوق الابل والحداء بالمد مع ضم الحاء وكسرها هو الغناء لها وذلك على عادة العرب من انهم يذكرون مثل هذا التأقيت و يردون منه الدوام والتأبيد وحاصل معني البيتين يامن هو الرب اللطيف بعباده اسالك ان تأمر لسحب الصلوات والتسليمات الدائمات ان يصدرا على نبيك

محمد صلى الله عليه وسلم الذي جمعت فيه بين المكارم والخيرات
بحذافيرها وجعلته حائز الفضائل كبيرها وصغيرها ما دامت الصبا
يميل اغصان البان وما دام الحادي يطرب العيس بالنغم والالحان
ويذكرها العهد بالحمي والاوطان فانك امرتنا بالصلاة والسلام
عليه قديما فقلت ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها
الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وهذا آخر
ما يسر الله لي جمعه وكان ذلك في اليوم
الخامس والعشرين من جمادي الثانية
سنة الف وثلثمائة وثنتين من
الهجرة النبوية على صاحبها
صلوات خالق
البرية

قد صار طبعه بمناظرة الشيخ محمد يحيى ظبا ره

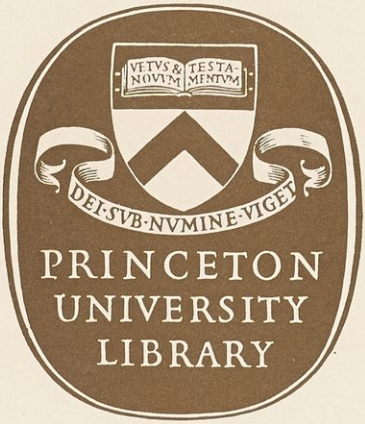
VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

(Ann
2269
.22
.831
1884

Princeton University Library
32101 063973943

RECAP